الأصالة

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

رسالةٌ إسلاميَّةٌ مَنهَجيَّةٌ جامِعَةٌ

العددُ الأوَّلُ

١٥ ربيع الثاني ١٤١٣ هـ

رئيس التَّحرير

محمد موسى نصر

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إنَّ الحَمدَ للَّه، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفِرُهُ، ونَعوذُ باللَّهِ مِن شرورِ أنفُسِنا، ومِن سَيِّئاتِ أعمالنا، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ.

وأَشهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللَّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ.

وَأَشهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ.

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلاّ وَأنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ مِنهُما رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقوا اللَّهَ الَّذي تَساءَلونَ بِهِ والأرحام إنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيكُم رَقيباً ﴾ [النساء: ١].

﴿ ياأيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ وقولوا قَولاً سَديداً يُصلِحْ لَكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ اللَّهَ ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزاً عَظيماً ﴾ [الأحزاب: ٧١].

أمَّا بَعد:

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللَّه، وخَيرَ الهَدي هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

بدايةُ خَيرٍ

التحرير

تَكميلاً لمَسيرَةِ السجلَّات العلميَّةِ العاليَةِ التي اختطَّت لنفسها طريقاً واضحاً بيّناً هو نَهجُ العِلمِ وسبيلُ السَّلَفِ – كمثلِ « المنار »، و« الفتح »، و« الهَدي النَّبوي »، و« الجامعة الإسلاميَّة »، و« التَّوحيد »، و« الجامعة السَّلفيَّة »، و« المُجاهد » .. وغيرها مِن مثيلاتها – تَصدُرُ رسالةُ (**الأصالة**) بما حَمَلتْهُ مِن نَصيبِ اسمِها، وجَزالَةِ مَباحثِها، وتَنوُّعِ أبوابِها .

تَصدُرُ لِتُحافِظَ على نَهجِ السَّلَفِ وَضَّاءً نَقيّاً؛ لا غَبَشَ فيهِ، ولا لَبْسَ يَعتَريه .

تَصدُرُ إحقاقاً للحَقِّ ونَشراً للسُّنَّةِ؛ واستمراراً لِعُلُوِّ الطَّائفَةِ المَنصورَةِ .

تَصدُرُ لِتُحيِيَ في الأُمَّةِ دَوْرَ العُلماءِ وطُلَّابِ العِلمِ، بَعدَ أن رَكِبَ (المَوجَةَ) مَن هُم دونَ ذلكَ !

تَصدُرُ لتَرفَعَ لَبِناتِ إصلاحٍ في صَرْحِ الأُمَّةِ الشامخ .

تَصدُرُ لِتُنشِئَ جيلاً كجيلِ الطِّرازِ القُرآنيّ الأوّل .

تَصدُرُ لِتكونَ وَصْلَةَ حقٍّ بينَ دُعاةِ السُّنَّة وأهلِها؛ لتتقوَّى أواصِرُ أُخوَّتِهِم، وتتوثَّقَ عُرى دَعوتِهِم .

تَصدُرُ حَبْلَ ولاءٍ بينَ المُؤمنين .

تَصدُرُ رَدْعاً للباطلِ، ونَقضاً للبِدعَةِ .

تَصدُرُ لِتَهدِمَ أركاناً مِن هيكلِ الباطلِ الزّاهق .

تَصدُرُ سَيْفَ براءٍ على الكافرين والمُبطلين .

فرسالةُ (**الأصالة**) لا يَستَولي عليها رَسمٌ، ولا يملكها قَيدٌ، ولا تُحجِّمُها إشارَةٌ، تَدينُ بالحقِّ حيثُ اتّجهَت ركائبُه، وتَدورُ معهُ حيثُ استقلّت مَضارِبُه، يأنسُ بها كُلُّ مُحقٍّ، ويَستوحشُ منها كُلُّ مُبطِل .

فَ (**الأصالة**) : **تعلو فوقَ كُلِّ حزبيَّة**، وتترفَّع على كلِّ عصبيَّة، ولا ارتباطَ لها بغير دلائل الهُدى، وأنوار اليقين، بصفاءِ الوَلاء بين المؤمنين .

فهي علميَّةٌ منهجيَّةٌ .. (**لا شرقيَّة ولا غربيَّة**) .

وهي كالغَيثِ حَيثُ وَقَعَ نَفَع، وكالنّخلَةِ لا يَسقُطُ وَرَقُها، وكُلُّها مَنفَعةٌ حتّى شوكُها، وهوَ مَوضعُ الغِلظَةِ منها على المُخالفينَ لأحكام الشرع؛ ومَحلُّ الغَضبِ فيها إذا انتُهِكَت مَحارِمُ الله، فهيَ لِلّهِ، وباللّهِ، ومعَ اللّه .

... فكلُّنا باللّهِ أمَلٌ أن يُسدِّدَ الدّربَ، ويُثبِّتَ الأقدامَ، ويَربِطَ على القلوبِ، ويتقبَّلَ الأعمال، ويُذهِبَ رِجسَ الشيطان .

إنّهُ سميعٌ مُجيبٌ، وهو - سُبحانَهُ - المُستعان، وعَليهِ التُّكلان .

* * * * *

﴿ وَمَن يُشرِك باللَّه فكأنما خرَّ مِنَ السَّماء ... ﴾

محمد موسى نصر

لم يُعص اللَّه بذنب أعظم وأقبح من الإشراك به، ولذا أطبقت رسالاتُ الأنبياء على التحذير منه والتنفير عنه وبيان سوء عاقبته وأنَّه يُوجب خلود صاحبه في النَّار .

والشركُ: أن تجعل للَّه ندّاً ونظيراً ومثيلاً في الخلق أو الصِّفة، أو العبادة .

والشرك نوعان :

أكبر : كدعاء الأموات وهو مخرجٌ من المِلَّة .

وأصغر : كالرياء، وطلب السُّمعة والمحمدة، ونحو ذلك .

وبينهما مراتبُ ودَرَكاتٌ؛ كمثلِ شرك الطواغيت الأرضيِّين الذين استبدلوا شريعة اللَّه بقوانينَ وضعيةٍ مستوردةٍ .

والشرك الأكبر إذا مات صاحبه عليه خسر الدُّنيا والآخرة وحَبِطَ عَملُه ولم تنفعه قُربة ولا طاعة .

والقرآن الكريم لا يكاد يخلو من آية أو سورة لم تحذر من الشرك؛ والآيات التي تحذر من الشرك بأنواعه كثيرةٌ جدّاً .

منها قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أن يُشرَكَ بِهِ ويَغفِرُ ما دونَ ذلكَ لِمَن يشاء ﴾ [النساء:٤٨] .

ومنها قوله : ﴿ إنَّهُ مَن يُشرِك باللَّهِ فَقَد حرَّمَ اللَّهُ عليهِ الجنَّة ومأواه النَّار وما للظَّالمين من أنصار ﴾ [المائدة:٧٢] .

ومنها قوله : ﴿ وَلو أشرَكوا لَحَبِطَ عنهم ما كانوا يعمَلون ﴾ [الأنعام : ٨٨] .

ومنها قوله : ﴿ وَلَقَد أُوحيَ إليكَ وإلى الَّذينَ مِن قَبلِكَ لَئِن أشرَكتَ لَيَحبطَنَّ عَملُكَ ولَتكونَنَّ مِنَ الخاسرين بَلِ اللّه فاعبُد وَكُن مِنَ الشاكرين ﴾ [الزمر : ٦٥] .

وكان من دعاءِ إبراهيم ربَّه : ﴿ واجنُبني وبَنيَّ أن نَعبُدَ الأصنام ﴾ [إبراهيم : ٣٥] .

ولقمان في وصاياه لابنه يحذره في وصيته الأولى من الشرك كما حكى اللّه عنه : ﴿ يا بُنيَّ لا تُشرِك باللّهِ إنَّ الشركَ لَظُلمٌ عَظيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] .

وفي السُّنَّة الثَّابتة عن النَّبيِّ ﷺ من التحذير عن الشرك والتشديد فيه ما لا يُحصى ، وغالب الأحاديث التي يذكر فيها ﷺ الكبائر يبدأها بالشرك كحديث : « اجتَنبوا السَّبع الموبقات .. الشرك باللّه والسِّحر .. »(١) .

ولَمّا سُئلَ ﷺ : أيُّ الذنب أعظم عند اللّه قال : « أن تجعَل للّهِ نِدّاً وَقَد خَلَقَك »(٢) .

وقَد بلغَ من تحذيره ﷺ من الشرك والزجر عنهُ أنْ قال وهو في النزع يجود بأنفاسه العطرة الشريفة : « لعنةُ اللّهِ على اليَهودِ والنَّصارى اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد »(٣) ، يُحذِّر ما صَنَعوا ولولا ذلك أُبرزَ قبره غير أنَّه خشيَ أن يتَّخذَ مسجداً ، وابتهل إلى ربِّهِ وهو في آخر رمقٍ من حياته ألّا تفتَتن الأُمَّة بقبره فيعبدوه من دون اللّه شأن عُبّاد القبورِ في كل زمان فقال : « اللهمَّ لا

---

(١) متفقٌ عليه .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

تجعَل قبري وثناً يُعبد، اشتدَّ غضبُ اللّه على قومٍ اتّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد »[1] .

فالغُلوُّ في قبورِ الأنبياء والصّالحين يُصَيِّرُها أوثاناً تُعبدُ من دون اللّه ولو بعدَ حين، فالذين عبَدوا اللات عكفوا على قبره بعد موته، فقد كان يَلِتُّ لهم السويق على صخرة ويُطعمهم ففتنوا به بعد موته؛ فالغلوُّ في الصالحين كان أوَّل سبب من أسباب الشرك، فقد ظلَّ النّاس بعد آدم ألف سنة وهم يعبدون اللّه وحده لا شريك له حتى كان لآدم خمسة أحفاد : ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونَسْر، فلما ماتوا جعلوا لهم أنصاباً فلما نُسِيَ العلم عبدوا من دون اللّه فأرسل اللّه نبيَّه ورسوله نوحاً عليه السلام .

من أجل ذلك نهى النّبيُّ ﷺ عن الغلو في المدح؛ وهو الإطراء، لأنّه نوعٌ من العبادة لغير اللّه فقال ﷺ : « لا تُطْرُوني كما أطرَت النّصارى عيسى ابن مريم، أنّما أنا عبد، فقولوا: عبداللّه ورسوله »[2] .

وقد يظنُّ بعض الجهلة وبعض المحسوبين على العلم أن الشرك : أن تسجد لغير اللّه، أما دعاء الأموات والنذر لهم والاستغاثة بهم والعكوف على القبور وسؤال أصحابها كشفَ الكربات لا يُدخل صاحبَه في زمرة المشركين !!

وهذا جهلٌ فاضحٌ بالتّوحيدِ الذي بعثَ اللّه به رسله، فالأنبياء كلهم قالوا كلمة رجل واحد : ﴿ يا قَومِ اعبُدوا اللّه ما لكُم مِن إلهٍ غيره ﴾ [الأعراف: في مواضع شتى] وقال اللّه عنهم : ﴿ وما أرسلنا من قَبلِكَ مِن رَسولٍ إلاّ نوحي إليهِ أنّهُ لا إلهَ إلاّ أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

والعبادة كما عرّفها العلماء : هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبُّ اللّه ويرضى من

(١) رواه مالك في « الموطأ » .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

الأقوال والأفعال الظَّاهرة والباطنة .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في رسالته القيِّمة « الواسطة بين الحقِّ والخلق »(ص:٥٧–٥٨) في ردِّه على سؤال عن الواسطة الشرعيَّة والشركيَّة :

« ... وإن أرادَ بالواسطة أنَّهُ لا بدَّ من واسطة يتخذها العبادُ بينهم وبين اللَّه في جلب المنافع ودفع المضارّ، مثل أن يكونوا واسطةً في رزق العباد ونصرهم وهُداهم يسألونهم ذلك ويرجعون إليهم فيه؛ فهذا من أعظم الشرك الذي كفَّر اللَّه به المشركين حيث اتخذوا من دون اللَّه أولياء وشفعاء يجلبون بهم المنافع ويَدفعون بهم المضار » .

إلى أن قال: « فمن أثبتَ وسائط بين اللَّه وبين خلقه كالحُجَّاب الذين يكونون بين الملك والرَّعيَّة بحيث يتوسطهم بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون اللَّه كما أن الوسائط عند الملوك يسألون حوائج النَّاس لقربهم منهم، والنَّاس يسألونهم أدباً منهم لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب، فمن أثبت وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يُستتاب فإن تاب وإلاّ قُتل، وهؤلاء مُشبِّهون شبَّهوا الخالق بالمخلوقين وجعلوا للَّه أنداداً » ا.هـ .

فالشرك أنواعُه كثيرةٌ، وأكثرُها شركُ العبادة الذي ابْتُليت به أكثر الأمم والشعوب وهو يندرج تحت ثلاثة أنواع عامَّة :

شرك الرُّبوبيَّة وشرك الألوهيَّة (العبادة) وشرك الأسماء والصِّفات، وسيأتي الحديث عن هذه الأنواع مفصَّلاً إن شاء اللَّه تعالى .

اللهمَّ إنَّا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه .

اللهمَّ اجعل أعمالنا صالحة ولوجهك خالصة ولا تجعَل لأحد فيها شيئاً .

﴿ سُبحانَ ربِّكَ ربِّ العزَّةِ عمَّا يَصِفون وسلامٌ على المُرسلين والحَمدُ للَّهِ ربِّ العالمين ﴾ [الصافات: ١٨٠] .

أَساسُ الأعمال

علي بن حسن

قال ربُّنا تبارك وتعالى عن نبيّه ﷺ : ﴿ وإنْ تُطيعوهُ تهتدوا ﴾ [النور: ٥٤] .

وقال سبحانه عنه : ﴿ وَما يَنطِقُ عَنِ الهَوى إن هُوَ إلاّ وَحيٌ يوحىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤] .

وقال ﷺ : « ألا إنّي أُوتيتُ القُرآنَ ومثلَهُ مَعَهُ »(١) .

وليس بخافٍ على أحدٍ من المُسلمين أنَّ هدي النَّبيِّ ﷺ شاملٌ لحياةِ النَّاسِ بفروعها كافَّة، دينيَّة ودنيويَّة، في اتِّباعهِ الفلاحُ والسُّؤدُد، وفي الاقتداء به النَّصرُ والتَّمكُّن، وفي مخالفته الهزيمة والخسار، وفي تنكُّب شريعته الذُّلُّ والدَّمار .

ومن أعظم ما قالهُ نبيُّنا ﷺ الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عمر ابن الخطَّاب رضي اللَّه عنه : « إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات . وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى اللَّه ورسوله فهجرتُه إلى اللَّهِ ورسوله، ومَن كانَت هجرتُه إلى دُنيا يُصيبها أو امرأةٍ ينكحها، فهجرته إلى ما هاجرَ إليه » .

فعُمدَةُ العَمَلِ الإخلاصُ؛ وَبالإخلاصِ تَستقيم القلوب، وتَستقرُّ

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٤)، وأحمد (١٣١/٤)، والآجُرّي (ص: ٥١)، والدارمي (١٤٤/١) عن المقدام بن مَعْدي كَرِب بسند صحيح .

الأفئدة، وبه يعرفُ المرءُ طريق دينهِ صحيحاً، فيأتي البُيوتَ مِن أبوابِها .

وبالإخلاصِ الصَّادق – مع الاتِّباع الصحيح – يَعرِف المسلمُ ما عليهِ من واجبات، وما يتعيَّنُ عليهِ من حقوقٍ، وبه يَرُدُّ الأمورَ إلى نِصابها، ويُؤدِّيها ما تستحقُّ دونَما إفراطٍ ولا تَفريطٍ .

وهذا الحديثُ هو أحدُ الأحاديث التي عليها تقومُ أصولُ فهمِ ديننا الحنيف، إذ النِّيَّةُ أساسُ الأعمالِ، ونقطة البِداية الصَّحيحة، وأصلُ التَّوجُّه الصَّادق .

ولقد قال الإمامُ أبو عُبَيد رحمه اللَّه تعالى : « ليسَ في أخبارِ النَّبيِّ ﷺ أجمعُ وأغنى وأكثرُ فائدَةً من هذا الحديث » .

وقال الإمامُ عبدالرَّحمن بن مَهدي رحمه اللَّه تعالى : « مَن أرادَ أن يُصنِّف كتاباً فليبدأ بهذا الحديث » .

فالواجب على كلِّ مسلم أن يُحسِّنَ نيَّتهُ، حتى يَرى الأمورَ كلَّها على حقيقتها دون أيِّ زُيوفٍ أو بهارجَ، فإذا اطمأنَّ قلبهُ بذلك صار مُسلماً حقّاً، يُوافِقُ قلبُه قالبَه، وظاهرُه باطنَه، وهذا من أعظمِ مقاصدِ هذا الدِّين، ومن أهمِّ ما بَعَثَ اللَّهُ به النَّبيِّين والمُرسلين .

واللَّهُ وليُّ المؤمنين .

* * * * *

مراحل تدوين العقيدة

سليم الهلالي

○ منذ أن بعث اللهُ جلَّ جلاله رسولَه محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق بقي عماد مسائل الإيمان والتَّوحيد قائماً على الآيات القرآنيَّة والسُّنَّة النَّبويَّة الصَّحيحة، وكان ذلك منهج الإسلام في غرس جذر الإيمان في القلوب حيث يعرضه عليها عرضاً كلُّه سهولة ويُسر، فيلفتُ النَّظر إلى ملكوت السَّماوات والأرض، ويوقظ عقولهم في التَّفكُّر في آيات الله، وينبِّه فطرتهم إلى ما نقش فيها من تديُّن وإحساس بعالم الغيب.

وعلى هذا المسار مضى رسول الله ﷺ متعهِّداً صحبَهُ بالتَّربية حتى أخرجَ الزَّرع شطأهُ فآزرهُ فاستغلظَ فاستوى على سوقه، واستطاعَ رسولُ الله ﷺ أن يُخرجَ النَّاس من الظُّلمات إلى النُّورِ بإذن الله ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد.

ففي حديث حذيفة بن اليمان رضيَ الله عنه قال: حدَّثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيتُ أحدهما، وأنا أنتظرُ الآخر: حدَّثنا أنَّ الأمانة نزلت في جَذْرِ قلوبِ الرِّجال، ثمَّ علموا من القرآن، ثمَّ علموا من السُّنَّة ...»[1].

○ كان القرآنُ والسُّنَّة الصَّحيحة هما المورد الزُّلال الذي تَضلَّعَ من سلسبيلِهِ جيلُ القُدوة الأوَّل: محمد والذين معه، فتفقَّهوا عليه، وتخرَّجوا به. ولم يكن ذلك لخلو جَعبةِ البشريَّة - يومئذ - فكريًّا وحضاريًّا ... فهناكَ

(١) متفق عليه.

فلسفة الإغريق، وقوانين الرُّومان، وفنون الفرس، وأساطير الهنود، وبقايا أهل الكتاب .

عن جابر بن عبدالله أن عمر بن الخطاب رضيَ الله عنه أتى النَّبيَّ ﷺ بكتاب أصابهُ من بعضِ الكتب، قال : فغضبَ، وقال : « أمتهوكون فيها يا ابنَ الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيَّة »[(١)].

○ ثمَّ كان الاتِّصالُ بمذاهب الأقدمين، وأساطير السَّابقين، واهتمام العقلِ فيما ليس له فيه مجال، سبباً في العنود عن منهج القرآن الكريم، والسُّنَّة المطهَّرة، كما كان سبباً في تحويل الإيمان من يُسره وسُموِّه إلى قضايا فلسفيَّة، وأقيسة عقليَّة، ومناقشات كلاميَّة، فلم يَعُد الإيمان هو الإيمان الذي تزكو به النُّفوس، ويَصفو به العمل، وتنهضُ به الأمَّة، ويحيى به المجتمع، فانقسمت الأمَّة شيعاً وأحزاباً، كلُّ حزبٍ بما لديهم فرِحون .

○ وسمَّوا علم التَّوحيد ومسائل الإيمان بـ « علم الكلام » ظلماً وزوراً، لأنَّ « علم الكلام » إنَّما هو محض عقول لم تُقَوَّم بمنهج الرَّسول، وإنَّما قوِّمت : برأي جهم بن صفوان، وطريقة بشر بن غياث، المستمدَّة من طريقة أهل الكتاب، ومن رأي عباد الكواكب، الذي فتنوا به المؤمنين والمؤمنات عن مراد الله ورسوله .

○ وخلفت خُلوفٌ : فترت همَمُهم، وضعفت عزائمهُم، فلا يفكِّرون إلاَّ بعقول غيرهم، فعكفوا على ما ألقاه إليهم علماء الكلام وأهل الرَّأي في العقيدة المبنيَّة على الفلسفة الإغريقيَّة والمنطق اليوناني، وجمدوا على ما فيها، وهو على هذا المعنى يُدرَّس اليوم في مدارس المسلمين ومعاهدهم وجامعاتهم .

(١) حسن بشواهده، كما بينه شيخنا في « ظلال الجنة في تخريج السُّنَّة » (٥٠) .

○ ثمَّ شاءَ الله أن ينهض من بين هذا الزِّحام أفراد من العلماء الأعلام : ينفونَ عن عقيدة الإسلام تحريفَ الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فكانوا أشدَّ النَّاس تنفيراً من الكلام وأهله، ولخَّص موقفَهم في ذلك الإمام الشافعي - رحمه الله - فقال :

« لأن يُبتلى العبدُ بكل ما نهى الله عنه سوى الشرك، خَيرٌ له من الكلام، ولقد اطَّلعت من أصحاب الكلام على شيءٍ ما ظننت أن مسلماً يقول ذلك »[1].

واتَّفقَ السلف الصالح على ذلك، فقال البغوي - رحمه الله - :

« واتَّفق علماء السَّلف من أهلِ السُّنَّة على النَّهي عن الجدال والخصومات في الصفات، وعلى الزَّجر عن الخوض في علم الكلام وتعلّمه »[2].

○ وصنَّف أئمَّة السَّلف في مسائل العقيدة، تصانيف متعدِّدة مفيدة، على منهج الكتاب والسُّنَّة في التَّلقي والاستدلال فسمُّوها بـ « الإيمان » و « التَّوحيد » أو « السُّنَّة » أو « الشريعة » مثل « كتاب الإيمان » لابن أبي شيبة، و « الإيمان » لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، وكتاب « الإيمان » لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكتاب « الإيمان » لابن منده، و « السُّنَّة » لعبدالله بن أحمد، و « التَّوحيد » لابن خزيمة، و « التَّوحيد » لابن منده، و « شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة » للالكائي، و « الإبانة » لابن بطَّة، و « الشريعة » للآجُرِّي - وغيرهم - رحمهم الله جميعاً .

○ وبرهن هؤلاء الأئمَّة أن الخير كلَّه في الاتِّباع، والشر كله في الابتداع،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في « آداب الشافعي »(ص:١٨٢) بإسناد صحيح .
(٢) « شرح السُّنَّة »(١/٢١٦) .

فكان الفهم العميق للإسلام رائدَهم، واتِّباع سبيل المؤمنين منهجَهم، فكان عملهم سياجاً حمى العقيدة من شرٍّ أُريد بها .

○ ثمّ جاءَ قوم زَعموا أنّ في أُسلوب كتب العقيدة جفافاً؛ لأنّه نصوص وأحكام (!)، ولهذا أعرضَ معظم الشباب عنها، وزهدوا بها !

سبحان ربّيَ ! آلنُّصوص فيها جفاف ؟! ... نعم هي كذلك عند القوم الذين لم يفهموا العقيدة إلا تقريع الحكام وتكفير العوام، أمّا الذي عاش مع الكتاب والسُّنَّة، ونهجَ سبيلَ السَّلفِ الصَّالح، فإنَّهُ يعلم أن الالتزام بمثل هذه الكتب هو استمرار لذلك المنهج السُّنّي النّقي الذي به إدراكُ مقاصد الشرع ومَعرِفَةُ مدارك الأحكام .

إنَّ فهم هذه المراحل التي مرّت على العقيدة يعين دعاة الإسلام الذين نهجوا سبيلَ السَّلفِ في تحديدِ أسلوب تربية الأمّة الإسلاميّة على العقيدة الإيمانيّة حيثُ يتمُّ تربيةُ الأُمّة على كتاب ربِّها وسُنّة نبيِّها ﷺ ضاربين بعلم الكلام – قديمِهِ وحديثِهِ ! – عُرض الحائط، ثمَّ يتعلّمون نقض الشبهات وتفنيد عقائد الكفر والإلحاد .

أمّا أن نُعَلِّم النّاشئة نقضَ الاشتراكيّة الماركسيّة، وتفنيد المزاعم الدّارونيّة، وتهافت العلمانيّة دون أن يكون عندهم رسوخٌ في عقيدة الإسلام الصّافية وأدلّتها، ومن غير أن يكونَ لَديهِم تصوُّرٌ بيّنٌ لمنهج السنّة النبويّة في حقيقة الدّعوة إلى اللّه: فهذا مزلقٌ خطيرٌ، ولا يُنَبِّئُكَ مثلُ خبير .

* * * * *

من الأحاديث المشتهرة

علي بن حسن

من الأحاديث المشتهرة التي يكثُرُ إيرادُها في المواعظِ والخُطبِ، وفي المجالسِ والكتابات حديثُ : « ألا إنَّ رَحى الإسلامِ دائرةٌ؛ فَدوروا معَ الكتابِ حيث دار، أَلَا إنَّ الكتابَ والسُّلطانَ سيفترقان؛ فلا تُفارقوا الكتاب » ؟

فما هي دَرَجَةُ صحَّتهِ وثبوتهِ ؟!

فأقولُ : هذه قطعةٌ من حديثٍ رواه الطَّبراني في « المعجم الصَّغير » (رقم:٧٤٩)، و « المعجم الكبير » (٩٠/٢٠) - وعنه أبو نُعيم في « الحلية » (١٦٥/٥-١٦٦) -، والخطيب في « تاريخه » (٣٩٨/٣)، وأبو العلاء الهَمَذاني في « ذكر الاعتقاد » (رقم:٦) من طريق الوَضين بن عطاء، عن يزيد بن مَرْثَد، عن معاذ بن جبَل، عن النَّبيِّ ﷺ ...

فذكره مُطوَّلاً .

وقال الهيثميُّ في « مجمع الزَّوائد » (٢٢٨/٥ و ٢٣٨) :

« ويَزيد بن مَرْثَد لم يسمع من مُعاذ، والوَضين بن عطاء وثَّقهُ ابنُ حبَّان وغيرهُ، وبقيَّةُ رجالهِ ثقات » .

قلتُ : يزيدُ بن مَرْثَد، روى عنه جماعةٌ ووثَّقهُ ابنُ حبَّان، واختارَ ابنُ حجَر توثيقهُ .

لكنَّهُ لم يسمع مِن معاذ كما جزمَ به الحافظُ العلائيُّ في « جامع التَّحصيل » (ص:٣٠٢) وغيرهُ .

أمَّا الوَضين بن عطاء، فقد اخْتَلَفَت فيه أقوالُ العلماء كما تراهُ في « تهذيب التَّهذيب » (١١/١٢٠–١٢١) واختارَ ابنُ حَجَر أنَّهُ : « صَدوق سيِّءُ الحفظ » .

وإسنادُهُ ضعيفٌ .

ولأوّله شاهدٌ : أخرجهُ أبو داود (٢٩٥٩)، والبيهقي (٦/٣٥٩)، والبخاري في « التَّاريخ الكبير » (١/٢٣٥)، والطَّبراني في « الكبير » (٤٢٣٩) و (٢٢/٢٩٤) **وفي سنده ضعفٌ** أيضاً؛ مُطَير بن سُلَيم، مجهولُ الحال .

فالحديثُ لا يصحُّ .

ثمَّ رأيتُ الحافظَ ابنَ حَجَرٍ قَد أورَدَ الحديثَ في « المطالب العالية » (ق ١٨٨/أ – النسخة المخطوطة المسندة) مُخرِّجاً لهُ مِن « مُسند إسحاق بن راهويه » مِن الطَّريق نفسه .

وكذا هو في المطبوعة من « المطالب » (٤/٢٦٨ – المجرَّدة من الأسانيد) وزاد عَزْوَه لأحمد بن منيع .

ونقل مُحقِّقُهُ في الحاشية عن البوصيري قوله عن إسناد ابن منيع : « ورواته ثقات » !

قلتُ : لم أرَ إسناد ابن منيع .

ومع ذلك فقوله : « رواته ثقات » لا يُعارض الانقطاع الذي أشرتُ إليهِ آنفاً، فليست صحَّةُ الحديث مقتصرةً – فقط – على ثقة رجاله كما يظنُّهُ البعض (!) ولكنَّ هُناكَ شروطاً أُخرى مثل الاتِّصال وعدم الشذوذ أو العلَّة ونحوها .

فالحديث ضعيفٌ .

والحمدُ لله ربِّ العالمين .

لماذا المنهجُ السَّلفيُّ ؟

سليم الهلالي

إنَّ العاملين في حقلِ الدَّعوة الإسلاميَّة كُثُرٌ، والمنظِّرين لشباب الصَّحوَة الإسلاميَّة[1] أكثر، وكل أولئك يَجِدُّونَ وَيَكِلُّونَ وَيَكِدُّونَ لاستئناف حياة إسلاميَّة .

وفي وسط هذا البحر الزَّاخر العُباب تجدُ صُنوفاً من الشيوخ والشباب؛ فأمَّا الشيوخ فقد رضوا من الغنيمة بالإياب، وأمَّا الشباب فشدُّوا المئزر ووضعوا أرجلهم في الرِّكاب، وكلا الفريقين في حيرة واضطراب ... فكان لا بُدَّ من طرح تَصوُّر المنهج السَّلفي في استئناف حياة إسلاميَّة راشدة على منهاج النُّبوَّة :

إنَّ تَصفيَة الإسلام مما ليسَ منهُ عقيدَةً وأحكاماً وأخلاقاً ليعودَ يتلألأ صافياً نقيّاً في ثوب الرِّسالة كما أُنزلَ على محمَّد ﷺ ثمَّ تربية الأجيال المسلمة على هذا الإسلام المصفَّى تربيةً إيمانيَّةً عميقةَ التَّأثير، هو : منهج الدَّعوة السَّلفيَّة النَّاجية، والطَّائفة الأثريَّة المنصورة في التَّغيير .

أوَّلاً : لماذا المنهج السَّلفي ؟

لا بدَّ لكلِّ مسلم يرومُ النَّجاة المثلى، ويَرنو إلى الحياة الفضلى، والفوز في الأولى والأخرى من فهم كتاب اللّه وسنَّة رسول اللّه ﷺ الصَّحيحة بفهم خير النَّاس : من الصَّحابة والتَّابعين ومن اقتَدى بهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين،

(١) لنا تحفُّظ على هذا الاصطلاح الشائع، لأنَّ فيه نظراً من حيث المبنى والمعنى .

لأنَّهُ لن يُتصوَّر فكرٌ وفهمٌ ومنهجٌ أصحَّ وأقومَ من فهم السَّلف الصَّالح ومنهجهم، لأنَّهُ لن يصلح آخر هذه الأُمّة إلاّ بما صلح عليهِ أوَّلها .

وإنَّ استقراء الأدلّة كتاباً وسنَّة وإجماعاً وقياساً، ليُستنبط منه وجوبُ فهم الكتاب والسُّنّة في ضَوء منهاج السَّلف الصَّالح، لأنَّهُ الفهمُ المُجْمَعُ على صحَّته على توالي القرون، وعليه لا يجوز لأيِّ فرد مهما علا شأنُه أن يفهمَ غير الفهم السَّلفي، ومن رغبَ عنهُ إلى مبتدَعات الخلف المحفوفة بالمخاطر، وغير مأمونة الجانب – وأثرُها في تفريق المسلمين معروفٌ لا يُنكر، وفي تَشتيت شملهم معلومٌ لا يُجحد – هو إنسانٌ أسَّس بُنيانَهُ على شفا جرف هار .

ودونكَ البيان بالدَّليل والبرهان :

١ – إنَّ السَّلف الصَّالح رضيَ اللَّهُ عنهم مشهودٌ لهم بالخيريَّة نصّاً واستنباطاً :

قال اللَّه تعالى : ﴿ والسَّابقون الأوَّلون من المهاجرينَ والأنصار والَّذينَ اتَّبعوهم بإحسانٍ رضيَ اللَّهُ عنهُم ورَضُوا عنهُ وأعدَّ لهم جنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

وجه الدَّلالة : أنَّ ربَّ البريَّة أثنى على من اتَّبعَ خير البريَّة، فعلم أنَّ خير البريَّة إذا قالوا قولاً فاتَّبعهم متَّبعٌ فيجب أن يكون محموداً، وأن يستحقَّ الرِّضوان، ولو كان اتِّباعُهم لا يتميَّز عن غيرهم لا يستحقُّ الثَّناء والرِّضوان .

وخير البريَّة هم الصَّحابةُ ومن اتَّبعهم بإحسان بنصِّ القرآن :

﴿ إنَّ الَّذين آمَنوا وعَملوا الصَّالحات أولئكَ هم خير البريَّة ﴾ [البينة: ٧] .

٢ – قال جلَّ شأنُهُ : ﴿ كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرجَت للنَّاس تأمرونَ بالمعروفِ وتَنهونَ عن المنكر وتُؤمنونَ باللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

وجه الدَّلالة : لقد أثبتَ اللَّهُ لهم الأفضليَّة على سائر الأمم، وذلك يقتضي استقامتهم على كلِّ حال، لأنَّهم لن يزيغوا عن البيضاء، فقد شهد اللَّهُ لهم أنَّهم يأمرون بكل معروف، وينهون عن كلِّ منكرٍ إيماناً واحتساباً، وذلك يستلزم أن فَهمَهُم حجَّةٌ على مَن بعدَهم حتى يرثَ اللَّه الأرضَ ومَن عليها، وإلاّ لما صحَّ أمرُهم بالمعروف ونهيُهم عن المنكر، فتدبَّر .

فإن قيل : هذا عامٌّ في الأُمَّة لا يختصُّ بجيل الصَّحابة دون من بعدهم .

قلت : هم المُخاطَبون ابتداءً، ولا يدخل من تبعهم بإحسانٍ إلاّ بقياس، أو بدليل آخر كما هو في الدَّليل الأوَّل .

وعلى تسليم العموم – وهو الصَّواب – فإنَّ الصَّحابة أوَّل داخل في شمول الخطاب، فإنَّهم أوَّل من تلقَّى عن رسولِ اللَّه ﷺ بدون واسطة، وهم المباشرون للوحي .

وهم أولى بالدُّخولِ من غيرهم إذ الأوصاف التي وصفهم اللَّه بها لم يتَّصف بها على وجه الكمال إلاّ هم فمطابقة الوَصف للاتِّصاف شاهد على أنَّهم أحقُّ من غيرهم بالمدح، ولذلك :

٣ – قال رسولُ اللَّه ﷺ : « خَيرُ النَّاسِ قَرني ثمَّ الَّذينَ يلونهم ثمَّ الَّذين يلونهم ثمَّ يَجيء قومٌ تسبق شهادةُ أحدِهِم يمينَه ويمينُه شهادتُهُ »[1] .

هل الخيريَّة المثبتة لِجيلِ الصَّحابة في ألوانهم أو أجسامهم أو أموالهم أو مساكنهم أو ... ؟

لا يشكُّ ذو نُهيَةٍ عَقَلَ الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة أن شيئاً من ذلك غير مقصودٍ ألبتَّة، لقول رسولِ اللَّه ﷺ : « إنَّ اللَّهَ لا ينظُرُ إلى صُوَرِكم

(١) حديث متواتر كما نصَّ على ذلك الحافظ ابن حجر في « الإصابة »(١/١٢) ووافقه والسُّيوطي والمناوي والكتاني .

وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[1].

ولأنَّ الخيريَّة في الإسلام مقياسها تقوى القلوب، والعمل الصَّالح، لقوله تعالى : ﴿ إنَّ أكرمكم عند اللَّه أتقاكم ﴾ [الحجرات:١٣].

ولقد نظر اللَّه إلى قلوب الصَّحابة رضيَ اللَّه عنهم فوجدها خير قلوب العباد بعد قلب رسولهِ ﷺ، قال عبداللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه : إنَّ اللَّه نظر إلى قلوب العباد فوجدَ قلب محمَّد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثمَّ نظرَ في قلوب العباد بعد قلب محمَّد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وُزَراء نبيِّه يقاتلون على دينه »[2].

فآتاهم فهماً وعلماً لا يدركه اللاحقون لهم، عن أبي جُحيفة قال : قلت لعلي : هل عندكم كتاب ؟ قال : إلاَّ كتاب اللَّه، أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصَّحيفة ... » الحديث[3].

وبذلك نتبيَّن أنَّ الخيريَّة الممدوحة في قول رسولِ اللَّه ﷺ، هي خيريَّة الفهم والمنهج، وبه يكون فهم الصَّحابة للكتاب والسُّنَّة حجَّة على من بعدهم إلى آخر هذه الأُمَّة .

يوضِّحهُ :

٤ - قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وكذلكَ جعَلناكُم أمَّةً وسَطاً لتَكونوا شهَداء على النَّاسِ ويَكونَ الرَّسولُ عليكم شهيداً ﴾ [البقرة:١٤٣] .

لقد جعلهم اللَّه عزَّ وجلَّ خياراً عدولاً، فهم أفضل الأمم، وأعدلها في أقوالهم وأفعالهم وإرادتهم، ولذلك استحقُّوا أن يكونوا شهداءَ على النَّاس،

---

(١) أخرجه مسلم (١٦/١٢١- نووي) .
(٢) أثرٌ موقوفٌ، إسناده حسن، أخرجه أحمد (١/٣٧٩) وغيره .
(٣) أخرجه البخاري (١/٢٠٤- فتح) .

فلهذا نوَّه بهم، ورفع ذِكرَهم، وأثنى عليهم وتقبَّلَهم بقَبولٍ حَسنٍ .

والشاهدُ المقبولُ عند اللَّه هو الذي يشهد بعلم وصدق، فيُخبِرُ بالحق مُستنداً إلى علمه، قال تعالى : ﴿ إلاَّ مَن شهِدَ بالحَقِّ وهُم يَعلمون ﴾ [الزخرف:٨٦] .

فإذا كانت شهادتُهم مقبولةً عند اللَّه؛ فلا ريبَ أنَّ فهمهم للدِّين حُجَّةٌ على مَن بعدَهم، وإلاَّ لم تقُم شهادتهم، والآية قد أثبتَت الدَّلالة مطلقاً .

والأُمَّة لم تُعَدِّل جيلاً مطلقاً إلاَّ جيل الصَّحابة؛ فإنَّ أهل السُّنَّة والجماعة مِن أتباع السَّلف وأهل الحديث عدَّلوهم على الإطلاق والعموم، فأخذوا عنهم رواية ودراية من غير استثناء، ولا محاشاة، بخلاف غيرهم فلم يُعَدِّلوا إلاَّ من صحَّت إمامتُه، وثبتت عدالتُه، وهما لا يُمنَحانِ الإنسانَ إلاَّ إذا سارَ على أثر الصَّحابة رضيَ اللَّهُ عنهم .

ثبت بهذا أنَّ فهمَ الصَّحابة حُجَّةٌ على غيرهم في توجيه نصوص الكتاب والسُّنَّة، ولذلك أمر اللَّه - سبحانه - باتِّباع سبيلهم .

٥ - قال تعالى : ﴿ واتَّبع سبيلَ مَن أنابَ إليَّ ﴾ [لقمان: ١٥] .

وكلٌّ من الصَّحابة رضي اللَّه عنهم منيبٌ إلى اللَّه، فهداهم اللَّه إلى الطَّيِّب من القول، والصَّالح من العمل بدليل قوله تعالى : ﴿ فيتَّبعونَ أحسنَهُ أولئكَ الَّذينَ هداهم اللَّه وأولئكَ هم أولوا الألباب ﴾ [الزمر:١٧-١٨] .

فوجب اتِّباعُ سبيلهم في الفهم لدين اللَّه كتاباً وسُنَّةً، ولذلك هدَّد اللَّه من اتَّبعَ غير سبيلِهِ بجهنَّم وبئسَ المصير .

٦ - قال اللَّه تعالى : ﴿ ومَن يُشاقِق الرَّسولَ من بعدِ ما تبيَّن لهُ الهدى ويَتَّبِعْ غَيرَ سبيلِ المؤمنين نُولِّهِ ما تولَّى ونُصلهِ جهنَّم وساءَت مصيراً ﴾ [النساء: ١١٥] .

ووجه الدَّلالة : أنَّ اللَّه توعَّدَ اتِّباعَ غير سبيلِ المؤمنين، فدلَّ على أنَّ اتِّباع سبيلهم في فهم الشرع واجبٌ، ومخالفته ضلالٌ .

٧ – عن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه قال : صلَّينا المغرب مع رسولِ اللَّه ﷺ ثمَّ قلنا : لو جلسنا حتى نُصلِّي معه العشاء، فجلسنا، فخرجَ علينا فقال : « ما زلتم هنا ؟ » .

قلنا : يا رسول اللَّه صلَّينا معكَ، ثمَّ قلنا : نجلس حتى نُصلِّي معكَ العشاء، قال : « أحسنتُم أو أصبتُم » .

قال : ثمَّ رفعَ رأسهُ إلى السَّماء، وكان كثيراً ما يرفع رأسهُ إلى السَّماء فقال : « النُّجوم أَمَنَةٌ للسَّماءِ، فإذا ذَهَبَت النُّجومُ أتى السَّماءَ أمرُها، وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمَّتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أُمَّتي ما يوعَدون »[(١)] .

لقد جَعَلَ رسولُ اللَّه ﷺ نسبةَ أصحابه رضي اللَّهُ عنهم إلى من بعدهم في الأُمَّة الإسلاميَّة كنسبته لأصحابه، وكنسبة النُّجوم إلى السَّماء .

ومن المعلوم أنَّ هذا التَّشبيهَ النَّبويَّ يُعطي في وجوب اتِّباع فهم الصَّحابة للدِّين نظيرَ رجوع الأُمَّة إلى نبيها ﷺ، فإنَّهُ ﷺ المُبيِّنُ للقرآن، وأصحابُه رضيَ اللَّهُ عنهم ناقلو بيانه للأُمَّة .

وكذلك رسولُ اللَّه ﷺ لا ينطقُ عن الهوى، وإنَّما يَصدرُ عنه الرَّشادُ والهدى، وأصحابه عدولٌ لا ينطقون إلاّ صدقاً، ولا يعملون إلاّ حقّاً .

وكذلك النُّجوم جعلها اللَّه رجوماً للشياطين في استراق السَّمع، فقال تعالى : ﴿ إنَّا زيَّنَّا السَّماء الدُّنيا بزينةٍ الكواكب وحِفْظاً مِن كلِ شيطانٍ ماردٍ لا يَسَّمَّعونَ إلى الملأ الأعلى ويُقذَفونَ مِن كلِّ جانبٍ دُحوراً ولهم عذابٌ واصب

(١) أخرجه مسلم (١٦/٨٢–نووي) .

إلّا من خطِفَ الخطفةَ فأتبعهُ شهابٌ ثاقبٌ ﴾ [الصافات: ٦-١٠] .

وقال سبحانه : ﴿ ولقَد زيَّنا السَّماءَ الدُّنيا بمصابيحَ وجَعلناها رجوماً للشياطين ﴾ [الملك: ٥] .

وكذلك الصَّحابة رضي الله عنهم زينةُ هذه الأُمَّة فهماً وعلماً وعملاً، كانوا رَصَداً لتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالين .

وكذلك فإنَّ النُّجومَ منارٌ لأهل الأرض ليِهتَدوا بها في ظلمات البر والبحر، قال تعالى : ﴿ وَعلاماتٍ وبالنَّجم هُم يَهتَدون ﴾ [النحل: ١٦]، وقال جلَّ شأنه : ﴿ وهوَ الَّذي جَعَلَ لكم النُّجومَ لتَهتَدوا بها في ظُلماتِ البرِّ والبحر ﴾ [الأنعام: ٩٧] .

وكذلك الصَّحابةُ يُقتدى بهم للنَّجاة من ظلمات الشهوات والشبهات، ومن أعرض عن فهمهم فهو في غيِّه يتردَّى في ظلماتٍ بعضها فوقَ بعضٍ إذا أخرجَ يَدَهُ لم يكد يراها .

وبفهم الصَّحابة نُحصِّنُ الكتابَ والسُّنَّة من بدع شياطين الإنس والجن الذين يبتغونَ الفتنة ويبتغون تأويله؛ ليفسدوا مرادَ الله ورسوله، فكان فهمُ الصَّحابة رضي الله عنهم حِرْزاً من الشرِّ وأسبابه، ولو كان فهمُهم لا يُحْتَجُّ به لكان فَهْمُ من بعدهم أمنةً للصَّحابة وحرزاً لهم، وهذا محالٌ .

ولو رُفضَ هذا التَّخصيصُ وَرُدَّ هذا التَّقييدُ - وهو وجوبُ فهم الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة بفهم السَّلف الصَّالح - لتنكَّب المسلمُ الصِّراطَ السَّويَّ، وصار صيداً للفرق والأحزاب المنحرفة عن الصِّراط المستقيم، لأنَّ الكتاب والسُّنَّة تعرَّضا لعدَّة محاولات فهم : كالاعتزال، والإرجاء، والتجهُّم، والتشيُّع . والتصوف، والخوارج، والباطنية، وغيرها، فكان لا بدَّ من التَّمييز .

فإن قيل : ليس من شك أنَّ فهم الرَّسولِ ﷺ وفهم أصحابه من بعده

المنهج الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، لكن ما الدَّليل على المنهج السَّلفي هو فهم الرَّسول ﷺ وأصحابه ؟

قلت : الجواب من وجهين :

أ - إنَّ المفاهيمَ المذكورةَ آنفاً متأخِّرةٌ عن عهد النُّبوَّة والخلافة الرَّاشدة، لا يُنسب السَّابقُ للاَّحق بل العكس، فتبيَّن أنَّ الطَّائفة التي لم تسلك هذا السبل، ولم تتبع هذه الطُّرق، هي الباقيةُ على الأصل .

ب - لسنا نجدُ في فرق الأُمَّة من هم على موافقة الصَّحابة رضي الله عنهم غير أهل السُّنَّة. والجماعة من أتباع السَّلف الصَّالح وأهل الحديث، دون سائر الفرق :

فأمَّا المعتزلة، فكيف يكونون موافقين للصَّحابة وقد طعن رؤوسهم في جلَّة الصَّحابة، وأسقطوا عدالتهم، ونسبوهم إلى الضَّلال كواصل بن عطاء الذي قال : لو شهد علي وطلحة والزُّبير على باقة بَقل لم أحكم بشهادتهم[1] !

وأمَّا الشيعة، فقد زعموا أنَّ الصَّحابة ارتدُّوا بعد النَّبي سوى ثلاثة[2] ! وليس للكفرة بالصَّحابة أسوة ولا قدوة ولا كرامة .

وأمَّا الخوارج، فقد مرقوا من الدِّين، وشذُّوا عن جماعة المسلمين؛ فمن ضروريَّات مذهبهم أن يكفِّروا عليّاً وابنيه وابن عبَّاس وعثمان وطلحة وعائشة ومعاوية، ولا يكون على سمت الصَّحابة من اتَّخذهم غَرَضاً وكفَّرهم .

وأمَّا الصُّوفيَّةُ؛ فَسَخِروا من ميراث الأنبياء، وأسقطوا نَقَلَةَ الكتاب والسُّنَّة ووصفوهم بالأموات، فقال كبيرُهم : أنتم تأخذون عِلْمَكم ميّتاً عن ميت، ونحن نأخذ علمنا حدَّثني قلبي عن ربِّي » ! !

---

(١) انظر « الفرق بن الفرق » (ص:١١٩-١٢٠) .

(٢) انظر « الكافي » للكليني (١١٥)، و « رجال الكشي » (ص:١٢، ١٣) .

وأمَّا المرجئةُ، فيزعُمون أنَّ إيمان المنافقين كإيمان السَّابقين الأوَّلين .

وبالجملة؛ فهذه الفرق تُريد إبطالَ شهودنا على الكتاب والسُّنَّة وجرحَهم، فهم بالجرح أولى، وبذلك يتبيَّن أنَّ الفهم السَّلفي هو منهجُ الفرقة النَّاجية والطَّائفة المنصورة في الفهم والتَّلقِّي والاستدلال .

فمن هي الفرقة النَّاجية والطَّائفة المنصورة ؟

يتبع في العدد القادم إن شاء اللَّه ...

الخشوع في الصَّلاة

عن أبي عبدالرَّحمن الأَسَديِّ، قال : قلتُ لسعيد بن عبدالعزيز: ما هذا البُكاء الذي يعرِضُ لك في الصَّلاة ؟

فقال : يا ابنَ أخي، وما سؤالُك عن ذلك ؟!

قلتُ : لعلَّ اللَّه أن ينفعني به .

فقال : ما قمتُ إلى صلاةٍ إلاَّ مُثِّلَت لي جهنَّم .

« سير أعلام النبلاء »

(٨/٣١)

الدّيمقراطيّة وَالتّعدُّديّة الحزبيّة

محمد إبراهيم شقرة

المُتَتَبِّعُ تَاريخَ الديمقراطيّة وَمسيرَتَها منذ نَشأتها وَحتى اليَوم يَعلم أنّها تعني عند أربابها فيما تعني المَنهج البديل عن حكم اللّه تبارك وتعالى بحكم الشّعب !! وهي بهذا تُعلِنُ أنّها عنوانُ نشوء الصراع الفكري وَالمذهبي في الأرض التي وُلدت وَترعرعت واستطالت سوقُها فيها .

هذا الصراعُ الجديدُ في نشأته أو القديمُ في وجوده لم يَقعْ إلاّ بوجود سببه أو أسبابه، وَأعظم سببٍ فيه هو الفراغُ الفكري والروحي الذي خلّفه في أناسٍ غيابُ الإسلام، وحكم الإسلام، ممّا نتج عنه – بَعدُ – قيام الأحزاب وتعدُّد الفرق، وَهذا التعدُّد لا يكون إلاّ بتعدُّد المناهج الفكرية، وتعدُّد هذه المناهج لا يكون إلاّ في غياب المنهج الواحد المتّفَق على صلاحه أو الّذي استبان صلاحُه وعُرِف ذلك عنه في قديمٍ أو حديثٍ، ولا أحسب أحداً في الأمّة العربيّة – اليومَ وأمسِ – وَفي غدِ القريبِ وَالبعيد – بقادر على أن يُنكر أن الملّة الواحدة – التي اصطُفِيَ لحملها أشرفُ الخلق وهي ملّة الإسلام – التي أجمعتْ عليها الأمةُ العربيّة كلّها بعد تفرُّق وشتاتٍ؛ لما في طبيعتها (أي الملّة) من معنى الوحدة والتوحيد، منها قولُه سبحانه ﴿ إنَّ هذهِ أُمَّتُكُم أُمّةً وَاحدَةً وَأنَا رَبُّكُم فَاعبُدُون ﴾ [الأنبياء: ٩٢] .

وَالأمّةُ في هذه الآية لا تعني الجماعةَ – كما يتوهّم الكثيرون – بل تعني الملّة

(أي الدين والنِّحلة) التي جاء التصريحُ بها – أي بالمِلّة – في آيات أُخرى كثيرة من الكتاب العزيز مثلُ قوله سبحانه ﴿ **قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم** ﴾ [الأعراف:٨٩] وقوله : ﴿ **إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ** ﴾ [الكهف:٢٠] .

وجاء ذكر الأُمّة بمعنى المِلّة في موضعين اثنين من القرآن : الأوّل : في سورة الأنبياء، وَالثاني : في سورة المؤمنون، خُتمت الأولى بقوله : ﴿ **فَاعْبُدُونِ** ﴾، وخُتمت الثانية بقوله : ﴿ **فَاتَّقُونِ** ﴾ .

وقد اصطلت الأُمّةُ قديماً وحديثاً بنار الفُرقة والتنازع، وأضلَّها عن سبيل الهدى واتّباعُها سبيلاً غيره، وأنهكها طولُ الاحتراب والاقتتالِ حتى صارت أُمَماً لا أُمّةً، وأحزاباً لا حزباً، وَشِيَعاً لا شيعةً، وصار كلُّ حزب بما لديهم فرحين، وأمست كلُّ أمة ترى في الأخرى عدواً لها، وأضحت كلُّ شيعة تودُّ لو أنَّ بينها وبين غيرها أمداً بعيداً !

وهذا كلُّه نشأ من تعدُّد المناهج الفكريّة وكثرة الطرق العقديّة وإعجاب كل ذي رأي منها برأيه وإعراضها جميعاً عن المنهج الحقّ الإلهي الذي ترسّمه الأنبياء، وسار عليه الصُّدَّقُ من الأتباع، وجاهد فيه حقّ الجهاد الخُلَّص من الهداة، فلا أدري واللّهِ أيُّهما الأحقُّ والأَوْلى بالنَّظر والأخذ: المنهجُ الإلهي الذي ترسّمه الأنبياء فكانوا به جميعاً على ملة واحدة هي ملّة التوحيد ﴿ **وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً** ﴾ أم المناهجُ البشريّةُ التي صاغَتها عقولٌ قاصرةٌ لا ترى أبعد ممّا قدر اللّه لها أن ترى فتصيب وتخطئ أو تُخطئ أكثر ممّا تصيب !؟

إنَّ المنهج الإلهي الواحد لا يكون إلاَّ حزباً واحداً هو الذي وصفه اللّهُ ونسبه إليه بقوله : ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أمّا المناهجُ البشريّة المتعددةُ الكثيرةُ فيكون بها أحزابٌ متعددةٌ كثيرةٌ وهي التي وصفها اللّهُ ونسبها إلى من كان سبباً في شقاء البشريّة وما زال بقوله : ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ

الشيطان إلا إنَّ حزبَ الشيطان هُم الخاسرون ﴾ .

وقد جمع اللّه بينهما جميعاً في آية واحدة، آمراً باتِّباع السبيل الأقوم وناهياً عن السبل المتفرقة ﴿ وَأنَّ هذا صراطي مُستقيماً فاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفرَّقَ بِكُم عَن سَبيلِهِ ﴾، فإذا ما ذَكَرنا الوبال الجمّ والشرَّ الوبيل والدَّمَارَ العقلي والنَّفسي والروحي، هذه وغيرها كثيرٌ من الشرور التي أدركت الأمَّةَ وأقعدتها عن الأمر الجليل الذي نَدَبها اللّهُ إليه وجعلها به خيرَ أُمّة أُخرجَت للنَّاس عرفنا تأويل هذه الآية معرفةً واقعيَّةً نُنجي أنفسنا بها لو أردنا الخير لها، ولكن أنّى وقد استبدّت بنا الأهواء وأُجلبت علينا ضغائنُ الخُيَلاء واستشرفتنا إحَنُ الأدواء (؟!!) .

ونحن – بالرّغم من هذا البيانِ الواضح والمنع الصريح – لا نُلزم من يرى في نشوء الأحزاب وتعدُّدها باجتهادِه خيراً له وللأمَّة بما نراه نحن أنَّه شرٌّ له وللأُمَّة ولنا بالقَسْر والاستعلاء، فهذا ليس من الأدَب الذي أدَّبَنا اللّهُ به في كتابه، ولا من الأدب الذي عَرَفناه في شخص نبيِّنا عليه السلام وسيرته المباركة العطرة .

ثمّ إنَّ كل فرد في الأمة – وبخاصةٍ إن كان ممّن ابتلي بمسؤوليَّة الفكر والقلم – أن يقول في النَّاس ما يراه صواباً إن كان الميزانُ الذي يقيس به ميزاناً دقيقاً، وليس من ميزانٍ في دنيا البشر جميعِهم أدقّ وأصوبَ من ميزان العقيدة السَّليمة التي ارتضاها ربُّنا سبحانه والمعبِّر عنها لفظاً بـ (لا إله إلاّ اللّه)، وهي تُعبِّر عن الوحدانيَّة للّه سبحانه، وبما أنَّ اللّه واحدٌ في ذاته، فقد اقتضت حكمتُه أن يكون المنهجُ الذي يلتقي عليه البشرُ واحداً، ليكون التَّوافقُ مُحكماً بين المشرِّع الواحد والمنهج الواحد (الشَّريعة)، فيكون البشر كلُّهم على منهج واحد – حيث أراد اللّهُ منهم ذلك – إلاّ أن يكون منهم من لا يريد ذلك، وقد قضت إرادةُ اللّه سبحانه أيضاً بذلك : ﴿ وَلَو شاءَ اللّهُ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلا يَزَالونَ مُختَلِفِينَ إلاّ مَن رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ .

وَمَا دام أنَّ اللّهَ أرادَ أن يكون اختلافٌ بين النَّاس – وهو اختلافٌ في أُصول

العقيدة – لكنّه سبحانه لا يُحبُّه، ولم يَرضَهُ؛ فلا ينبغي أن تُتجاوز حدودُ هذا الاختلاف، وحدودُه هي الأصولُ التي كان عليها ومنها الاختلاف، فإن تجاوَزناها فقد اعتدينا على اللّه بمراده هذا.

ومردُّ هذا الاختلاف الذي أرادهُ اللّهُ – إرادةً كونيَّةً لا شرعيَّةً – إلى ثلاثةٍ: (الإسلام)، (اليهوديَّة)، (النَّصرانيَّة) ورابعٌ تابعٌ لليهوديَّة والنَّصرانيَّة (وهي المجوسيَّة) في بعض أُمورها ووَسائلها.

فهذه الأصول هي وحدها التي تصلح لنشوء نظريَّة (التَّعدُّديَّة) – بصورتها التي حدَّدها الإسلام – التي صار لها نُظَّار وأنصار – من غير نظر أو رجوعٍ إلى هذه الأصول – فوسَّعوا دائرتها حتى أدخلوا فيها كُلَّ المناهج البشريَّة التي أثقلت وآدت كاهلَ البشريَّة وصارت بها إلى حالٍ زريَّة !!

فنحن إذن ولا شكَّ معَ (التَّعدديَّة) التي أرادها اللّه أن تكون – في ظلِّ حكم الإسلام وشريعة اللّه – أمّا التعدديَّةُ التي أرادها الخارجون عن المنهج الواحد – منهج الحقّ – إمّا بجهل، وإمَّا بتعمُّد وقصد، وإمَّا ببغض وإفساد، فهي غير مُرادَةٍ عندنا؛ لأنَّ اللّه الحق الواحد الذي أرادَ لعباده أصول التعددية – كوناً – لا يحبُّها، ولا يُريدُها شرعاً؛ إذْ ﴿ إنَّ الدِّينَ عندَ اللّهِ الإسلامُ ﴾ فكيف يصحُّ في عالم العقل السليم أن يرتضي للبشريَّة ما لا يُصلحها ولا يَصلح لها؟

وليس من شك أن العرب هم أقدر النَّاس على الإحاطة علماً بهذه المسألة المهمَّة الخطيرة – سواءٌ المسلمون منهم والنَّصارى – بما أُوتوا من لغة عربيَّة خاطب اللّهُ بها العرب وغيرهم في آيات كتابه المبين، وبالواقع التاريخيِّ التطبيقي لهذه الآيات، فإنَّ اللّه سبحانه لم يُكره النصارى على التحوُّل عن نصرانيتهم، أو اليهود عن يهوديَّتهم، أو المجوس عن مجوسيتهم، **بالشروطِ الشرعيَّةِ المعروفة**.

وممَّا هو مستيقنٌ لنا أن التعدديَّة التي ينادي بها الكثيرون اليوم تحت شعار الديمقراطيَّة أو الحريَّات الحديثة (زعموا !!) لا تَستثني الوثنيَّة ولا الوثنيين وهي

تمنحهم رداء الحزبية المقدس !! باسم الديمقراطيّة فيكون لكل عشرة – أيّاً كان مذهبهم – وأي لون فكري كانوا عليه – حزبٌ، وحَسْبُنا إن استطعنا أن نحصي الأحزاب الموجودة اليوم والتي انقرضت وبادت بالأمس في بلادنا – علما أنَّ البلاء الذي بسط ظلالَه السوداء على أرضنا وأفزَعَنَا من مرقدنا وأسال الدماء وأزهق الأرواح البريئة – ما كان إلَّا من هذه الأحزاب التي نشأت بفلسفة (التَّعدديَّة الديمقراطيَّة)! فيا ترى هل ما كان بالأمسِ من هذا كلِّه لا يكون مثلُه في الغد ؟!

إن غَيبةَ المنهج الواحد وبروزَ المناهج الكثيرة واستحكامَ الأهواء يجعل الجوابَ عن هذا السؤال واضحاً بيّناً، لذا فإني أترك الإجابة للقارئ من خلال التَّطبيق العملي الواقعي الذي نعرفُه عن الممارسة التطبيقيَّة العملية للدِّيمقراطيَّة بالأمس القريب والبعيد، وممَّا سنعرفه أيضاً منها في الغد القريب وفي الواقع المنظور الذي نحياه بعقولنا ونفوسنا، ونسأل اللَّه السلامة والعافية !!

إنَّ فكرة الحزب الواحد التي رسخ مفهومَها في القرون السَّابقة الحزبُ الذي قال اللَّه فيه: ﴿ فإنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُم الغَالبون ﴾ يجب أن تَسُودَ حياتنا كلَّها من جديد، وأن تتوجّه الجهودُ كلُّها لوضع خُطّة عملية موضوعية لبعث مفهوم هذه الفكرة من جديد في واقعنا المعاصر، واضعين نُصب أعيننا وفي حسابنا : أنَّ فكرةَ الحزبِ الواحدِ – بمعناه اللغوي القرآني – فكرةٌ شرعيةٌ تتمُّ في إطار العقيدة السليمة التي يجب أن تُهيمن وتسودَ من خلال تطبيق الأحكام الشرعية العملية التي ترعاها المؤسسة الشوريَّة **بمفهومها الشرعي** الذي عرفناه من النصوص القرآنية والنَّبويَّة من التَّطبيق الواقعي العملي له **وبخاصة في القرون الثلاثة المُفَضَّلة الأولى** .

وسوف يكون لنا إن شاء اللَّه حديثٌ عن الشُّورى – من بعد هذا – نستظهرُ فيه بما لا يَدَعُ مجالاً للشكِّ إن شاء اللَّه أنَّه لا صلاح لهذه الأمة في **حاضرها ومستقبلها إلَّا بما صَلَحت عليه في ماضيها**، مقارنين بينها وبين الديمقراطيَّة التي عزَّ بها أقوام – بغيرِ حَقٍّ – وذلَّ بها آخرون !!!

من أعلام الدَّعوة

الشيخ : محمَّد البشير الإبراهيمي

مشهور حسن

الحمد للَّه وحده، والصَّلاة والسَّلام على من لا نبيَّ بعده، وبعد :

فهذه سطورٌ في التعريف بإمام من أئمَّة الدَّعوة السَّلفيَّة، نفع اللَّهُ به كثيراً، وعالج العديد من المسائل والأمور في شتى ميادين الحياة، وأصَّل مبادىء دَعويَّة كثيرة، وتكلَّم عن قضايا منهجيَّةٍ هي الآن حديث السَّاعة، وأثارت نزاعاً شديداً بين طلبة العلم، ومرادنا من هذه السُّطور بعد التَّعريف بهذا العَلَم من النَّاحية الشخصيَّة إلقاءُ الضَّوء على شخصيَّته الدَّعويَّة من خلال تعرُّضه للأُمورِ التَّالية :

أوَّلاً : الدَّعوة السَّلفيَّة والسِّياسيَّة وفقه الواقع .

ثانياً : الدَّعوة السَّلفيَّة والانتخابات .

ثالثاً : الدَّعوة السَّلفيَّة والعلم .

○ **شخصيَّة محمَّد البشير الإبراهيمي :**

– ولد الشيخ في قُسَنْطينة بالجزائر عام ١٣٠٦ هجريَّة في الثَّالث عشر من شهر شوال، الموافق سنة ١٨٨٩ ميلاديَّة .

– وهو سليل قبيلة أولاد إبراهيم بن يحيى بن مُساهل التي يرتفع فيها إلى إدريس بن عبداللَّه الجد الأوَّل للأشراف الأدارسة، ويدعى إدريس الأكبر مؤسِّس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، وترجع إليهِ أنساب الأشراف الحَسَنِيِّين في المغربين الأقصى والأوسط .

– اتجه رحمه اللَّه إلى الدراسة الدينيَّة، وكان يتمتَّع بحافظة عجيبة وذاكرة

نويّة، أكمل حفظَ القرآن وهو في سن التّاسعة، وتعلّم في هذه السّن قواعد النّحو والبلاغة، ودرس الفقه والعلوم الشرعيّة في سن مبكّرة، وعندما بلغَ العشرين من العمر هاجر إلى المدينة النّبويّة ملتحقاً بأبيه، ومرَّ بالقاهرة ومكث فيها ثلاثة أشهر كان يتردّد أثناءها على الدّرس بالأزهر الشريف، سافر بعدَ ذلك إلى المدينة النبويّة، وفيها درس على أيدي مشايخ الحرم النّبوي الشريف، وكان يقوم بتدريس الفقه واللغة والأدب .

– عند قيام الحرب العالميّة الأولى استوطنَ مع والدهِ دمشق، بعد أن أرغمته الدّولة العثمانيّة على الخروجِ من المدينة، وهناك اشتغلَ بالتّعليم الحر، ثمَّ عُيِّنَ أُستاذاً للآداب العربيّة في المدرسة السّلطانيّة الأولى، وبعدَ انتهاء الحرب عادَ إلى الجزائر وعمل بالتّدريس أيضاً .

– قامَ في الجزائر مع الشيخ عبدالحميد بن باديس بوضع مُخَطَّطٍ لمحاربة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وإنشاء جمعيّة علماء الجزائر سنة ١٩٣١م في الجزائر العاصمة .

– كان يهدف بهذه الجمعيّة إلى نشر تعاليم **الإسلام الصّحيح المصفّى من البِدَع والخرافات**، وإحياء اللغة العربيّة .

– كان رحمه اللّه خطيباً مفوَّهاً، يتحدَّثُ ببلاغة وصراحة وجرأة، وكان مجاهداً، صاحب همَّة لا تعرف الملل، وعالماً لا يخشى في الحقِّ لومة لائم، كان يحفظ من عيون الشعر والأدب الأندلسي والمغربي، ويُلقي أُمّات القصائد عن ظهر قلب، وكان عالماً في مصطلح الحديث والفقه والنحو والصرف والمنطق والأصول وغيرها من العلوم .

– لم يكن الشيخ الإبراهيمي أقليميّاً يناضلُ من أجلِ حريّة واستقلال بلاده الجزائر فقط، إنّما كانَ شخصيّة إسلاميّة معروفة في العالم الإسلامي بجهاده

وكفاحه من أجل نشر الإسلام .

- كان رحمه اللَّه سيفاً مُصلَتاً على المشعوذين، وبقايا السمسارين؛ الذين يتاجرون بالدِّين، وتميَّزَ رحمه اللَّه بصراحته **في الدَّعوة إلى العقيدة الصَّحيحة، والالتزام بالكتاب والسُّنَّة، ومنهج السَّلف الصَّالح** .

- توفِّي الشيخ في التَّاسع عشر من أيَّار سنة (١٩٦٥ م) رحمه اللَّه تعالى، وأسكنه فسيح جنانه .

○ **سلفيَّة الشيخ الإبراهيمي رحمه اللَّه تعالى :**

نستطيع أن نلخِّص الرَّكائزَ التي قامت عليها دعوة الشيخ الإبراهيمي في النِّقاط التَّالية :

أوَّلاً : إصلاح عقيدة الجزائريِّين، فقد كانت جمعيَّة العلماء تركز عملها بصفة عامَّة على مقاومة الخرافات والبدع التي شوَّهت عقيدة المسلمين، وتطهير عقيدتهم من مظاهر الشرك، سواء العلني منها أو الخفي .

كان - رحمه اللَّه - يرى أن العقائد السليمة هي قاعدة الإصلاح في المجتمع، وهو ينادي بأن حالة التَّدهور العام التي وصلَ إليها المسلمون في القرون الأخيرة إنَّما تعود إلى تَدهور العقيدة لدى الفرد المسلم وتطرُّقِ الشرك الخفي إليها .

ثانياً : مُقاومة الصُّوفيَّة المُبتدعة .

ترتبط مقاومة الصُّوفيَّة المبتدعة بإصلاح العقيدة ارتباطاً وثيقاً، وقَد كشفَ الإبراهيميُّ رحمه اللَّه عن مخازي هؤلاء وحاربهم بشدَّة، وعاملهم بما يستحقُّون لأنَّهم تاجروا باسم الدِّين، وزجَّت بهم فرنسا في أتون المعركة، فَأَصغِ إليه وهو يقول :

« في أيَّام الحملة الكبرى على الحكومة الفرنسيَّة ظهرَ هؤلاء بمظهر مناقض

للذين، فكشفوا السّتْرَ عن حقيقتهم المستوردة، ووقفوا في صفِّ الحكومة مؤيّدينَ لها، خاذلين لدينهم وللمدافعين عن حريّته مطالبين بتأييد استعباده، عاملين بكُلّ جهدهم على بقائه بيد حكومة مسيحيّة تخرّبه بأيديهم، وتشوِّه حقائقه بألسنتهم، وتلوِّثُ محاريبه ومنابره بضلالتهم » ويقول :

« وقد أخذوا في الزّمن الأخير ببعض مظاهر العَصر، وتسلَّموا بعضَ أسلحتهم بإملاء من الحكومة للدِّفاع عن الباطل، فكوّنوا جمعيّة، وأنشأُوا مجلّة، وجهّزوا كتيبة من الكُتّاب يقودها أعمى – خذلاناً من اللّه – ليشترك عاقلهم وسفيههم في هذه المخزيَات، وبحكم العموميّة في الجمعيّة، والاشتراك في المجلّة، ولو في دائرته الضيِّقَة ومن أهله وجيرانه ... دافعناهم – عندما ظهروا بذلك المظاهر – بالحق فركبوا رؤوسهم، فتسامحنا قليلاً إبقاءً على حرمة (المحراب) و (المنبر) التي انتهكوها، فشدّدوا إبقاءً على حرمة (الخبزة) !! فكشفنا عن بعض الحقائق المستوردة فلجُّوا وخاضوا، وثاروا وخاروا، فلمّا عَتَوْا من أمر ربِّهم رميناهم بالآبدَة ... وهي أنَّ الصَّلاة خلفهم باطلة، لأنَّ إمامتهم باطلة ... لأنّهم جواسيس » !!

وقَد عدَّ الشيخُ الإبراهيميُّ الصُّوفيَّةَ داءً عُضالاً يجب التّخلُّصُ منه، لِتُحَرّر عقيدة المسلم من التّشويش، وتطلق لعقله العنان في التّشبُّع وفهم الشريعة، فتراه يصرِّح بقوله :

« إنّنا علمنا حقَّ العلم بعد التّروِّي والتّثبُّت ودراسة أحوال الأُمّة ومناشيء أمراضها أنَّ هذه الطُّرق المبتدعة في الإسلام هي سببُ تفرُّق المسلمين، ونعلم أنّنا حين نقاومها نقاوم كلَّ شر، إنَّ هذه الطُّرق لم تسلم منها بقعة من بقاع الإسلام، وإنّها تختلف في التّعاليم والرُّسوم والمظاهر كثيراً، ولا تختلف في الآثار النّفسيّة إلاّ قليلاً، وتجتمعُ كلها في نقطة واحدة وهي التّخدير

والإلهاء عن الدِّين والدُّنيا »

ويتابعُ شارحاً مخاطرَ الطرقيّة وبدعها، حيث تعلَّقَ كثيرٌ من المسلمين بطقوس طريقتهم، وبطروحات مشايخهم؛ ولم يعودوا على اتِّصال مباشر مع الكتاب وصحيح السُّنَّة، بل أصبحت هذه الطُّرقُ حاجزاً بينهم وبين مصادر الشريعة، وكأنَّها دين جديد، لقد أصبحت بعض الطُّرق – كما يرى الإبراهيمي – في بلاد العرب والمسلمين، وفي الجزائر بخاصَّة، إضافة جديدة إلى محاولات الدَّس التي قام بها أعداء كثيرون للإسلام، إن كان بنحل الأحاديث، أو بالتَّأويلات المزوَّرة للحقيقة، أو ما شاع عند العديد من الحركات الباطنيَّة، ولكن يعود ليؤكِّد أن هذا كان خطره أقل بكثير من خطر هذه الطَّريقة، فيقول: « أما واللَّه ما بلغَ الوضَّاعون للحديث، ولا بلغت الجمعيَّات السريَّة ولا العلنيَّة الكائدة للإسلام من هذا الدِّين عشر معشار ما بلغتهُ من هذه الطُّرق المشؤومة ... إنَّ هذه الهوَّة العميقة التي أصبحت حاجزة بين الأُمَّة وقرآنها هي من صنع أيدي الطرقيّين » .

ويقول مقرِّعاً الصُّوفيَّة والطُّرقيَّة وفَهْمَهم الخاطىء للإسلام :

« ... فكل راقصٍ صوفي، وكل ضاربٍ بالطَّبل صوفي، وكل عابثٍ بأحكام اللَّه صوفي، وكل ماجنٍ خليعٍ صوفي، وكل مسلوب العَقل صوفي، وكل آكل للدُّنيا بالدِّين صوفي، وكل ملحدٍ بآيات اللَّه صوفي، وهَلُّم سحباً، أفيجْمُلُ بجنودِ الإصلاح أن يَدَعُوا هذه القلعة تحمي الضَّلال وتُؤْويه، أم يجب عليهم أن يحملوا عليها حملةً صادقَةً شعارهم : (**لا صوفيَّة في الإسلام**) حتى يدكُّوها دكَّاً، وينسفوها نسفاً، ويذروها خاويةً على عروشها » .

وقد كان رحمه اللَّه تعالى في محاربتهِ للصُّوفيَّة وخرافاتهم وتُرَّهاتهم متأثِّراً بتعاليم حركة الشيخ محمد بن عبدالوهَّاب الإصلاحيَّة، ويتَّضحُ ذلك عندما

نراه يُعَلّل هجوم المتاجرين بالدِّين على هذه الدَّعوةِ السُّنِّيَّة الإصلاحيَّة في البلاد الحجازيَّة التي سَمّاها خصومُها بِـ (الوهّابيَّة) – تنفيراً وتَشويهاً – لأنَّها قضت على بدعهم، وحاربت خرافاتهم، فيقول :

« إنَّهم موتورون لهذه الوهّابيَّة التي هدمت أنصابهم، ومحت بدعهم فيما وقعَ تحتَ سلطانهم من أرضِ اللّه، وقَد ضجَّ مبتدعة الحجاز فضجَّ هؤلاء لضجيجهم والبدعة رحم ماسة، فليس ما نسمعهُ هنا من ترديد كلمة (وهابي) تُقذف في وجه كل داعٍ إلى الحقِّ إلاّ نواحاً مردَّداً على البدع التي ذهبت صرعى هذه الوهّابيَّة » .

يتبع في الحلقة القادمة ....

الحرصُ على العلم

قال أبو الوفاء ابنُ عَقيل :

عَصَمني اللَّهُ في شبابي بأنواعٍ مِن العصمَةِ، وقَصَرَ محبَّتي على العلم، وما خالطتُ لعَّاباً قَطُّ، ولا عاشرتُ إلاّ أمثالي مِن طَلَبةِ العلم، وأنا في عَشر الثمانين أجدُ مِن الحرصِ على العلمِ، أشدَّ ممَّا كنتُ أجدهُ وأنا ابنُ العشرين .

« سير أعلام النبلاء »

(١٨/٤٤٦)

الدَّعوة .. والنُّور ..

سليم الهلالي

ما من كلمة أصدق ولا تعبير أدق من إخبار اللَّه عزَّ وجلَّ عن حقيقة الإسلام بأنَّهُ نور، وعن واقع الكفر بأنَّه ظلمات، كما في قوله تعالى : ﴿ اللَّه وليُّ الَّذينَ آمَنوا يُخرجهُم مِن الظُّلمات إلى النُّور والَّذين كَفروا أولياؤهم الطَّاغوت يُخرجونَهُم من النُّورِ إلى الظُّلمات أولئكَ أصحاب النَّارِ هم فيها خالدون ﴾ [البقرة:٢٥٧] .

إنَّها حقيقةٌ يجد المؤمن حلاوتها في قلبه، ويتذوّق طعمها في كيانه، ويجني ثمارها في جميع مفردات حياته : في رؤيته للواقع، وتقديره للأشخاص، وتقييمه للأحداث، وتقويمه للأشياء .

وما يَخرج النَّاس من النُّورِ إلاَّ ليَعيشوا في ظلمة من الظُّلمات أو في ظلمات مجتمعة، لأن الكفر ظلمات ... ظلمات متنوِّعة ومتعدِّدة ... ظلمة الهوى والشهوة والنَّزعات ... وظلمة الشرود والاندفاع في التِّيه ... وظلمة الشك والقلق والحيرة والانقطاع عن الهدى، والوحشة من الجناب الآمن ... وظلمة اضطراب الموازين، وتخلخل الأحكام، وتحلُّل القيم .

ولن يُنقذ النَّاسَ من هذا الظلام إلاَّ نورُ اللَّه المبين الذي يُشرق في قلوبهم بإذن اللَّه ويغمر أرواحهم، ويهديهم إلى فطرتهم وهي : فطرة هذا الدِّين القيِّم : ﴿ قَد جاءَكُم منَ اللَّهِ نورٌ وكتابٌ مُبين يَهدي به اللَّهُ مَن اتَّبعَ رِضوانَهُ سُبلَ السَّلام ويُخرجهُم من الظُّلمات إلى النُّورِ بإذنِه ويهديهم إلى صراطٍ مُستقيم ﴾ [المائدة:١٥-١٦] .

وهذا الوصف الرَّبَّاني لحقيقة الإسلام له دلالاته في منهج الدَّعوة إلى اللَّه، وحياة داعي اللَّه؛ فمنها :

أ – طريق الدّعوة إلى الله نور على نور، وبيانه :

أنَّ اللّه سبحانه وصف نفسه بأنّه نورُ السّماوات والأرض[1]: ﴿ اللَّهُ نورُ السَّماواتِ والأرض ﴾ [النور:٣٥]، واحتجب عن خلقه بالنور كما في « الصحيح » : « حجابه النُّور ، لو كشفه لأحرقت سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » .

وجعل كتابه نوراً، كما في قوله تعالى : ﴿ فآمِنوا باللَّهِ ورَسولِهِ والنُّورِ الَّذي أنزلنا واللَّهُ بما تعملون خَبير ﴾ [التغابن:٨] .

ووصفَ نبيَّه ﷺ بأنَّهُ نور، كما في قوله تعالى : ﴿ قَد جاءَكُم مِنَ اللَّهِ نورٌ وكتابٌ مُبين ﴾ [المائدة:١٥]، وجعل دينه نوراً، فقال : ﴿ أفمَن شرحَ اللَّهُ صَدْرَهُ للإسلام فهو على نور من ربِّهِ فوَيلٌ للقاسيةِ قلوبُهُم من ذكرِ اللَّه أولئكَ في ضلالٍ مُبين ﴾ [الزمر:٢٢] .

إذن؛ فطريقُ الدَّعوة إلى اللَّه نورٌ على نور، غايتها وسبيلها ومعالمها، ولقد تَرَكَنا رسولُ اللَّه ﷺ على بيضاء نقيّة ليلها كنهارها لا يزيغُ عنها إلاّ هالك، ولكن من لم يجعل اللَّه لهُ نوراً فما له من نور .

ب – سبيل اللَّه واحدة، وبُنَيَّات الطَّريق متعدِّدة :

لَقَد وحَّدَ اللَّهُ جلَّ جلالهُ كلمة « النُّور »، وجمع كلمة « الظُّلمات »؛ لأنَّ النُّور واحدٌ وهو صراط اللَّه المستقيم الذي لا صراط يُوصل إليه سواه، وهو عبادتُه وحده لا شريكَ له، بما شَرَعَهُ على لسانِ رسوله ﷺ لا بالأهواء والبدع، بخلاف طرق الضَّلال؛ فإنَّها متعدِّدة متشعِّبة، ولهذا يفرد سبحانه الحق، ويجمع الباطل .

وقد ثبتَ عن رسولِ اللَّه ﷺ : أنَّهُ خَطَّ خطّاً مستقيماً ، وقال : « هذا سبيل اللَّه »، ثمَّ خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال : « هذه سبل الشيطان على كل سبيلٍ شيطانٌ يَدعو إليه »، ثمَّ قرأ قول اللَّه تعالى : ﴿ وأنَّ هذا صراطي مُستقيماً فاتَّبعوه ولا تتَّبعوا السُّبُل فتفرَّقَ بكم عن سبيله ذلك وصَّاكم به لعلَّكم تتَّقون ﴾ [الأنعام:١٥٣] .

(١) بمعنى : مُنَوِّر؛ كما حققه العلامة ابن القيم في « اجتماع الجيوش الإسلامية » (ص٢٩) .

وهذا التَّوضيح النَّبوي يلقي بظلالٍ منها :

١ – أنَّ الطَّريقَ إلى اللَّه واحدةٌ .

٢ – أنَّ الطَّريقَ إلى اللَّه طويلةٌ، ولكنَّها موصلة إلى غايتها، مستقيمة إلى نهايتها .

٣ – أنَّ سبل الشيطان كثيرة .

٤ – أنَّ سبل الشيطان قصيرة، لكنَّها مغلقة لا توصلُ إلى غاية، ولا تُعرف لها نهاية، فسالكها يدورُ في حلقة لا يَعرف أولَها من آخرها .

٥ – أنَّ من أنعمَ النَّظر لا يجد بين سبيل اللَّه وسبيل الشيطان مَمَرّاً، ولا قنطرة، ولا جسراً، **فليس هناك قاعدة مشتركة بينها فلا أنصاف حلول، ولا لقاء في منتصف الطَّريق .**

إنَّ هذا التَّميُّزَ وهذه المفاضلةَ ذاتُ بالٍ لتَستَبينَ معالم الحق الذي يستحيل أن يلتقي مع الباطل في صورة من الصُّوَر إلاّ إذا تحوَّل الباطل بكليَّته إلى الحق أو العكس .

ت – أعداء اللَّه يريدون ليُطفئوا نور اللَّه .

إنَّ دعاة الضَّلالة وأئمَّة الكفر الذي بيدهم أزِمَّةُ الأمور في سبل الشيطان، يحاربون نور اللَّه سواء بما يطلقونه من أكاذيب ودسائس وفتن، أو بما يُحرِّضونَ به أتباعهم وأشياعهم وإخوانهم على حرب هذا النُّورِ وأهلهِ، والوقوف سدّاً في وجهه، كما هو الواقع على مدار التَّاريخ ، ﴿ يُريدونَ أن يُطفئوا نورَ اللَّهِ بأفواهِهِم ويأبى اللَّه إلاّ أن يُتِمَّ نُورَهُ ولو كَرِهَ الكافرون ﴾ [التوبة: ٣٢] .

إنَّ هذا البيان – وإن كان يريد استجاشة قلوب المسلمين – **يُصوِّر** الموقف الدَّائم لأعداء هذا المنهج من نور اللَّه المتمثِّل في دينه الحق الذي يهدي للَّتي هي أقوم .

ث – المستقبل لهذا الدِّين .

إنَّ أعداء اللَّه يمكرون لكنّ مكرهم هو يبورُ ، فإنَّ المستقبل لهذا الدِّين ... وعدٌ من اللَّه ... ووعدهُ حقٌّ، لأنَّهُ سُنَّتهُ التي لا تتبدَّل في إتمام نورهِ بإظهارِ دينهِ ولو كرِه المشركون .

﴿ هُوَ الَّذي أرسلَ رسولهُ بالهُدى ودينِ الحقِّ ليُظهِرَهُ على الدِّينِ كلِّهِ ولو كَرِهَ

المشركون ﴾ [التوبة: ٣٣]، ولقد تواتر النَّقلُ عن رسول اللّه ﷺ بأن المستقبل لهذا الدِّين .

جـ - يا دُعاةَ الإسلام استضيئوا بنور اللّه واعتصموا بحبل اللّه .

إنَّ وعدَ اللّه حقٌّ تطمئنُّ له قلوبُ الذين آمَنوا، فيدفعهم هذا إلى المُضيِّ في الطريق إلى اللّه على المشقَّة واللأواء لا يضرُّهم مَن خَذَلهم ولا مَن خالفهم، لأنَّهم يعلمون أنَّ هذا النُّور لا بدَّ أن يَعُمَّ الأرض فلا بدَّ له من دعاة يمشون به في النَّاس ليحيوا بنور اللّه على منهج اللّه .

﴿ أوَمَن كانَ مَيتاً فأحيَيناهُ وجعَلنا لهُ نوراً يمشي به في النَّاس كمن مَثلُه في الظُّلمات ليس بخارجٍ منها كذلك زُيِّنَ للكافرين ما كانوا يعملون ﴾ [الأنعام: ١٢٢] .

فالمُسلم على ما يُسِّرَ له من العلم ولو كان ضئيلاً يُبيِّنهُ وينشرهُ، يعرِّف به الجاهل، ويرشد به الضَّال، وهو بقوله الطَّيِّب وعمله الصَّالح كالنُّورِ يشعُّ على من حوله، وتتسعُ دائرةُ إشعاعاته وتضيقُ بحسب ما عنده من علم وعمل ودعوة .

فعلى داعي اللّه أنْ يعلم هذا من نفسه، ويعمل عليه، ويضرعَ إلى اللّه دائماً في دعائه أن يفيض عليه من نوره، ويقيه الشيطان وشروره، وحُبّ نفسه وغروره، ملتجأً إلى اللّه في كل أموره، ويدعُوَ بدعاء النَّبي ﷺ الذي كان يَدعو به كما في حديث ابن عبَّاس المتَّفق عليه وهو : « اللهمَّ اجعَل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخَلْفي نوراً، واجعَل لي نوراً » .

وعلى دعاة الإسلام أنْ يَستضيئوا بنور اللّه الذي يهدي به اللّهُ من اتَّبع رضوانه سُبُلَ السَّلام ويخرجهم من الظُّلمات إلى النُّور، وعليهم أن يعتصموا بحبل اللّه جميعاً ولا يتفرَّقوا .

كونوا يا عباد اللّه إخواناً، وتعاهَدوا على منهج اللّهِ أعواناً ... ومَن لم يجعَل اللّه لهُ نوراً فما لهُ من نور .

من أخلاق الخطيب الأول ﷺ وجوامع كلمه

محمد موسى نصر

لا أحَد يُنكر ما للمنبر في الإسلام من دور ريادي في توجيه الأُمّة نحو الخير، وشَحذ هِمِمِها للجهاد في سبيل الله، والعمل المتواصل الدؤوب لِنُصرة الإسلام، والعمل على خدمته .

لذا أَوْلى الإسلامُ المنبر اهتماماً عظيماً، فأمر أن لا يعتليه كلُّ من يشتهيه بحقٍّ أو بباطل، إلّا من كان أهلاً له، لأنّ الأمر إذا وُسّد إلى غير أهله فانتظروا الساعة كما جاء في الحديث الصحيح .

وقد لعبَ المنبرُ دوراً عظيماً في الإسلام خصوصاً في حروبِ النّبيِّ ﷺ مع المشركين، فقد كان النَّبيُّ ﷺ يُعِدُّ لحسان بن ثابت شاعر الإسلام مِنبراً ليهجو الكفار، ويُلهب حماس المؤمنين المجاهدين، وكان ﷺ يقول لحسان : « اهجهم وروح القدس معك » وقال له : « اهجهم، والذي نفسي بيده أنه لأشدُّ عليهم من وقع النَّبل »[1].

قال الشيخُ العلاّمة عبدالعزيز بن باز في تقديمه لكتاب « الحداثة » (ص: ٥) : « وهذا الكلامُ من النبي ﷺ يدلُّ على أن سلاح الكلمة والبيان من الأسلحة الماضية التي اتّخذها الرسولُ ﷺ لمنازلة أعداء الإسلام بها جَنْباً إلى جنب مع سلاح السيف والسنان » .

فهما صِنوان لا يفترقان .

(١) متفقٌ عليه .

وقال ﷺ : « إنَّ من البيان لسحراً، وإنَّ من الشعر لحكمة »[1].

وقد كان الوُعّاظ والخُطباء من سَلفنا إذا وعظوا النَّاس أبكَوهم وأثّروا في حياتهم أيُّما تأثير، وما ذلك إلاّ لإخلاصهم، وصلاح ظاهرهم وباطنهم، وجمعهم بين القول والعمل، والأسوة الحسنة، وفصاحتهم، وبلاغتهم، فمواعظُ الحسن البصري وابن الجوزي وغيرهما من علماء الإسلام ما زالَ علماء الإسلام يقتبسون منها ويَتّعظون بها .

وقد سُئل أحدُ الوعّاظ الخطباء مِن سلفنا : ما لك إذا وعظتَ النَّاس أبكيتهم، وإذا وعظهم غيرك لم يتأثروا ؟ فقال : « ليست الأُمُّ الثكلى كالنائحة المستأجرة » .

ولما كان شأنُ الخُطبة عظيماً أمرَ الرَّسولُ ﷺ بالإصغاء إليها والإنْصات لها، وَعَدم الاشتغال بغيرها، وجعلَ الاشتغالَ عنها من اللغو المُذْهب للأجر، فقال ﷺ : « إذا قلتَ لصاحبك والإمام يخطب: أنصت، فقد لَغَوت »[2].

إذا علمنا ذلك فما هو حقُّ هذا المنبر؛ منبر رسول اللَّه ﷺ الذي ائْتمَنَ اللَّه عليه خطباءَ هذه الأمَّة ؟!

وسؤالي يدور حولَ حقّ منبر المسجد أَوَّل منبر في الإسلام، أما مِنبر الصحافة، والإذاعة المسموعة والمرئية وغيرها من منابر فهي ليست موضوعَ كلامنا، وإن كانت لا تقلُّ أثَراً عن منبر المسجد، فمن ارتقى شيئا من تلك المنابر فهو على ثغرة من ثغور الإسلام فليحذر أن يؤتى الإسلامُ مِن قِبَلِه .

ورسالتي هذه موجَّهةٌ إلى خطباء المساجد من عُلماءَ وطُلَّاب علمٍ، إذ

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

الاصل في المنبر ألّا يعتليه إلّا من كان من أهله، وإلّا كانَ إثمه أكثر من نفعه، وشره أكثر من خيره، وقاد الأمّة إلى واد سحيق .

وكم من المنابر تئنُّ وتشتكي أولئك الذين تسلَّقوها ظلماً وزوراً، فلم يتَّقوا اللّه فيها، ولم يُعطوها حقَّها الذي أُمروا به، فهي تئنُّ من تحت أقدامهم أنينَ العشّار شوقاً إلى الخطباء المُتّبعين لا المبتدعين، العاملين لا الذين يقولون ما لا يفعلون، ويهدمون أكثر مما يَعْمُرون، يُحيون الأمّة من جديد ويبعثونها من رُقادها، ولا يعملون على إخمادها وتخديرها وشغلِها بقضايا لا تخدم المصلحة العامة فضلاً عن خدمة القضية الإسلامية، تَفريغاً لِحماستهم، وشَغلاً لعواطفهم !!

إلى خطباء الأمّة أُوجِّه كلماتي هذه، راجياً بها النصح والإرشاد واللَّهُ على ما أقول شهيد:

قال اللّه تعالى : ﴿ فَبَشِّر عبادِ الَّذين يَستَمعون القَولَ فيَتَّبعونَ أحسَنَهُ أولئكَ الَّذين هداهُم اللّه وأولئكَ هُم أولو الألباب ﴾ [الزمر:١٧-١٨] .

● اعلموا إخواني الخطباء أن حقوق المنبر عليكم كثيرة، فمنها : أن تتقوا اللَّه فيه، فهو أمانة أئتمنكم عيلها ربُّكم لتُعظِّموه وتُمجِّدوه وتُوحِّدوه جلَّ جلاله، لا لتعظِّموا من خلاله أنفسكم، وتعلوا على أقرانكم، ويشارُ إليكم بالبنان؛ ﴿ تلكَ الدَّارُ الآخرَةُ نجعلها للَّذينَ لا يُريدون عُلُوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتَّقين ﴾ [القصص:٨٣] .

● أيها الخطباء الأفاضل : المنبر لتوجيه الأمّة نحو الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإعلاء كلمة اللّه تعالى، وليس المنبر مكاناً للمهاترات والشتائم والسخائم وتسفيه أحلام الآخرين وتجهيلهم ورميهم بفظائع الأمور .

● أيها الخطباء الأفاضل : ليس المنبرُ مكاناً لاستخراج الأحقاد الدفينة

والعصبيّات المقيتة، إنما المنبر دعوةٌ للحق على بصيرة وعمل متواصل لجمع الكلمة وتأليف قلوب الأمّة وجمعهم على كلمة سواء على كتاب اللَّه وسُنَّة رسوله ﷺ، وعلى منهج السّلف الصّالح .

● أيها السادة الخطباء : الناس تنظر إليكم نظرةَ إجلالٍ وتعظيم، وعدوُّكم يتربَّص بكم الدوائر فلا تُشمِتوا بكم الأعداء وتُخيِّبوا فيكم آمال الصّديق بل آمال الأُمّة فَتَنفُضُ أيديها منكم، فاشتغلوا بعدوّكم جميعاً ولا يشغلنّكم الشيطانُ بعضكم ببعض .

● أيها الخطباء الأفاضل : اهتمُّوا بقواعدِ دينِكم واشتغلوا بها ولا تتفرّقوا ولا تختلفوا، ولا يحملنَّكم تعصُّبُكم لرأيكم على هجر إخوانكم والهجوم عليهم والتشهير بهم من على منابركم فهي ليست ملكاً لكم لتقولوا عليها كل ما تريدون، وتنتصروا لأنفسكم، بل هي ملك للَّه ربِّ العالمين، فالفرقةُ عذابٌ والخلافُ أشدُّ قال تعالى : ﴿ ولا تكونوا من المشركين من الذين فرّقوا دينَهم وكانوا شيَعاً كلُّ حزبٍ بما لديهم فَرِحونَ ﴾ [الروم: ٣١-٣٢] .

● أيها السادة الخطباء : تذكروا قولَ اللَّه تعالى : ﴿ واتّقوا فتنةً لا تُصيبنَّ الذينَ ظلموا منكُم خاصّة ﴾ [الأنفال: ٢٥]، فالفتنة نائمةٌ، فمن أيقظها لم ينج منها، وباء بإثمها، ومن أجّج ناراً أحرقته يوماً من الدَّهر علم أو لم يعلم .

● يا خطباء المساجد: نزِّهوا ألسنتكم عن الطعن في علماء المسلمين، خصوصاً الأئمة العاملين المُتَّبعين للكتاب والسُّنّة السّائرين على نهج سلفِ هذه الأمّة، فأولئكَ مصابيح الدُّجى وهم ورثة الرّسول ﷺ حقاً، فمن طَعنَ فيهم اتّهمناهُ لأنّهُ طَعنَ في الدِّين، قال ﷺ : « العلماء ورثة الأنبياء »[1]، وقال في

(١) رواه أبو داود، والترمذي وابن ماجه، وابن حبان في « صحيحه » وإسناده حسن .

الحديث القُدُسي : « مَن عادى لي ولياً فَقد آذنتهُ بالحرب »[1] ، قال الإمام الشافعي رحمه اللَّه : « لو لم يكن العلماء هم أولياء اللَّه ما كان للَّه ولياً » .

● أيها الخطباء الكرام : إن جمع كلمة الأمَّة وتوحيد صفوفها أمام عدوها الظاهر والباطن وظيفتكم وأنتم مسؤولون عنها فماذا أنتم قائلون أو فاعلون ؟

● أيها الخطباء الأفاضل : عالجوا خلافاتكم بعيداً عن جو المنابر وبعيداً عن أسماع العامَّة لئلاّ توقعوهم في الفتنة والحيرة والتخبُّط وسوء الظن بكم جميعاً بل الطَّعن بكم أجمعين .

● أيها الخطباء الأفاضل : تذكَّروا قولَ أمير المؤمنين عمر رضيَ اللَّه عنه : « ولا تظنَّنّ بكلمة خرجت من فم أخيك شرّاً وأنت تجد لها في الخير محملاً » وتذكَّروا قول أحد علماء السَّلف : « ظلمٌ لأخيك أن تخفي تسعاً وتسعين حسنة من حسناته وتظهر سيئة واحدة من سيِّئاتهِ » .

● أيها الخطباء الأفاضل : لا تتعجّلوا بالحكم على الآخرين قبل أن تتبيَّنوا وتتثبَّتوا، قال تعالى : ﴿ يا أيها الَّذين آمَنوا إن جاءكُم فاسقٌ بنبأٍ فتبيَّنوا أن تُصيبوا قَوماً بجهالةٍ فتُصبِحوا علىَ ما فَعَلتُم نادمين ﴾ [الحجرات : ٩]، واحذروا كل نمّام قتّات فمن نمّ لك نم عليك .

● أيها الخطباء الأفاضل : ليكن ولاؤكم للَّه ورسوله فلا تتعصّبوا لجماعة أو حزب أو طريقة، بل تعصَّبوا للحقِّ وحده، واحذروا اتِّباعَ الهوى، فكم من رجل ضلَّ وزاغَ باتِّباع هواه، قال تعالى : ﴿ يا داوُدُ إنَّا جعَلناكَ خَليفَةً في الأرضِ فاحكُم بينَ النَّاسِ بالحقِّ ولا تتَّبع الهوى فيُضلَّكَ عن سبيل اللَّه ﴾ [ص : ٢٦] .

(١) رواه البخاري .

• أيها الخطباء الأفاضل : حذِّروا الأمَّة من الشرك صغيره وكبيره، وادعوهم لتوحيد اللّه وإفراده وحده بالعبادة، وحذِّروهم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وإياكم والكذب على اللّه بقول ما لا تعلمون، والكذب على رسوله بنسبة أحاديث لم يقلها ولم تصحَّ نسبتُها إليه .

• أيها الخطباء الأفاضل : لقد كان نبيُّكم إمامَ الخطباء إذا خطب علا صوتُه، واحمرَّت عيناه وكأنَّه منذرُ جيشٍ يقول: صبَّحكم ومسَّاكم، يُلهب المشاعر لا لمجرَّد حماسةٍ أو عاطفةٍ، ولكن ليوقدَ الحِسَّ في الضَّمائر، ويؤجِّج جذوة الإيمان في الصُّدور فتأسَّوا به في خطبكم لتجنوا ثمار أعمالكم .

• أيها الخطباء الكرام : لا تكثروا على النَّاس فيملّوا، وتذكّروا قول نبيِّكم : « إن قِصرَ خطبة الرَّجل وطول صلاته مَئِنَّةٌ فقهه »[1]، فتشبَّهوا بنبيكم تفلحوا .

• أيها الخطباء الأفاضل : اتَّبعوا ولا تَبتدعوا فقد كُفيتم عليكم بالاتباع واحذروا الابتداع، لا تتبعوا الرُّخَص فتتساهلوا في دين اللَّه وتُجاملوا العامَّة والخاصَّة على حساب الحق، فأنتم قدوةُ النَّاس في الخير .

• أيها الخطباء الأحبَّة : هذه نصيحتي إليكم، نصيحةَ أخٍ محبٍّ لكم جميعاً، راجياً تقبُّلَها والإفادَةَ منها، ﴿ وذكِّر فإنَّ الذِّكرى تَنفعُ المؤمنين ﴾ [الذاريات: ٥٥]، ﴿ إنَّ في ذلكَ لذِكرى لمَن كانَ لهُ قَلبٌ أو ألقى السَّمعَ وهوَ شهيد ﴾ [ق: ٣٧] .

﴿ إن أُريدُ إلاّ الإصلاحَ ما استطَعت وما تَوفيقي إلاّ باللّهِ عليهِ تَوكَّلتُ وإليهِ أُنيب ﴾ [هود: ٨٨] .

---

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه »

مسائلُ وأجوبتُها

للعلاّمة المحدّث محمّد ناصر الدّين الألباني.

مَدخَلٌ : هذا البابُ يحوي بين سطورِهِ الإجابةَ على ما يُشكِلُ على الإخوة القُرَّاءِ مِن مسائل علميَّة فقهيَّة، أو مباحث حديثيَّة أو عقيديَّة، أو غير ذلك مِن مُهمَّات تتَّصل بشرعِ اللَّهِ سبحانهُ .

وسنقومُ -- إن شاءَ اللَّه -- بعرضِ ما يَرِدُنا من ذلك على شيخنا العلاَّمة محمَّد ناصر الدِّين الألباني، للإجابة عليه، فجزاه اللَّهُ خيرَ الجزاء .

وعليهِ؛ فإنَّنا نُرحِّب باستفسارات القرّاء وأسئلتهم، سائلين اللَّهَ سُبحانهُ النَّفعَ والتَّوفيقَ :

التحرير .

○ قصّ شعر المرأة .

سؤال/١ : ما حُكمُ أخذِ المرأة شيئاً من شعرها ؟

□ جوابٌ : قصُّ المرأة شعْرَها يُنظَرُ فيه إلى الدَّافع إلى هذا العمل :

فإن كانت المرأة تقصُّ شعرها تشبُّهاً بالكافرات أو الفاسقات؛ فلا يجوزُ أن تقصَّه لهذه النيَّة .

وأمَّا إن كانَت تقُصُّه تخفيفاً من شعرها، أو تحقيقاً لرغبة زوجها؛ فلا أرى في ذلك مانعاً .

وقد جاءَ في « صحيح مسلم »[١] أنَّ نساءَ النَّبيِّ ﷺ كُنَّ يأخُذنَ مِن

(١) (برقم: ٣٢٠) .

شعورِهنَّ حتى تكونَ كالوَفْرةِ .

○ ○ ○ ○ ○

○ القولُ الصَّوابُ في الحجَّاج بن يوسف الثَّقفيّ :

سؤال/٢ : ما هوَ القولُ الصَّائب في الحجَّاج بن يوسُف الثَّقفيِّ، هل هو كافرٌ ؟

□ جوابٌ : نحنُ نشهدُ أنَّ الحجَّاج فاجرٌ ظالمٌ، لكنَّنا لا نعلمُ منه أنَّهُ أنكرَ ما هو معلومٌ مِن الدِّين بالضَّرورة، فلا يجوزُ تكفيرهُ بِمُجرَّد أنَّهُ فَجرَ، وظَلَم، وَقتَلَ الأبرياءَ مِن المسلمين .

○ ○ ○ ○ ○

○ حالُ شهر بن حوشب جَرحاً أو تَعديلاً :

سؤال/٣ : نقل البعضُ أنَّكم انفصلتم أخيراً إلى تحسين حديثِ شهر بن حوشب ! فهل لهذا الكلام أصلٌ ؟

□ جوابٌ : ليسَ لهذا النَّقلِ أصلٌ عَنِّي، فهو ككثير مِن المقولات التي تُنسَبُ إليَّ، ولا أصلَ لها !!

ولكن؛ لعلَّ ناقلَ هذا الكلامِ اختلطَ عليه أنَّني أُحسِّنُ حديثَ شهرٍ بالشواهد والمتابعات، فظنَّ أنَّني أُحسِّنُهُ لذاته، وليس مِن شكٍّ أنَّ ثمَّةَ فرقاً بين الأمرين .

○ ○ ○ ○ ○

○ بينَ الوَلَدِ ومالِ والدِه الرِّبويّ :

سؤال/٤ : هل يجوز للمرءِ أن يأخذَ مِن مالِ والدِهِ ليَستفيدَ منه في

تجارته، معَ العلم بأنَّ الوالدَ يتعاملُ معَ البنوك الرِّبويَّة ؟

□ جوابٌ : الواجبُ على كُلِّ مَن بَلَغَ سِنَّ الرُّشد أن يسعى سعياً حثيثاً في الخلاصِ مِن الانتفاع بمالِ الرِّبا أو أكلهِ، فيأكل منه ما دامَ مُحتاجاً للضَّرورةِ، أمَّا أن يتوسَّع بهذا المال الحرام، فلا يجوزُ له، واللَّه أعلم .

○ ○ ○ ○ ○

○ الاجتماعُ لتلاوة القرآن :

سؤال/٥ : هل يجوزُ الاجتماعُ للتِّلاوة، إذا كان أحياناً أو كُلَّ يومٍ ؟

□ جوابٌ : إذا كان هذا التَّرتيب لا يُقصَدُ به إلاّ تَسهيل تلاقي المسلمين الذين يُريدون أن يتدارسوا القرآن؛ فهذا لا شيء فيه .
أمَّا إذا كان هذا التَّرتيب يُقصدُ به ذاته التَّعبُّدُ إلى اللَّه؛ فهذا لا يجوز .

○ ○ ○ ○ ○

○ بين صلاتي المغرب والعشاء :

سؤال/٦ : رجلٌ دخلَ المسجد وقد قامت صلاة العشاء، ولم يكن قد صلَّى المغربَ – لعذرٍ –، فماذا يصنعُ ؟

□ جوابٌ : هذا الرَّجل يقتدي بالإمام الذي يُصلِّي العشاء، وينوي هو صلاة المغرب، فإذا قام الإمامُ إلى الرَّكعة الرَّابعة؛ نوى هذا المأمومُ المفارقةَ بينه وبين الإمام، ثمَّ جلس وتشهَّد، وأتمَّ صلاته وحدَه .

○ ○ ○ ○ ○

العلمُ دواءٌ

علي بن حسن

○ كثيرٌ من النَّاسِ يعيشون حياتهم مَرضىٰ، تائهين ضائعين، يبحثون عن دواءٍ لأدوائهم فلا يجدون، وينظرون إلى سبيلٍ منها يمرُّون، فلا يُميِّزون!

والدَّواء أمامهم، والعلاجُ بين أيديهم، إنَّه العلمُ:

قال الإمامُ الذَّهبي المتوفَّى سنة (٧٤٨هـ):

«مَن مَرِضَ قلبُه بشكوكٍ ووساوِسَ لا تزولُ إلاّ بسُؤالِ أهلِ العلمِ، فليتعلَّم مِن الحقِّ ما يَدفعُ عنهُ ذلك، ولا يُمعِن»[(١)].

وأكبر أدويتهِ الافتقارُ إلى اللهِ، والاستغاثةُ به، فَليُكَرِّر هذا الدُّعاء، وَليُكثِر منهُ:

«اللَّهمَّ ربَّ جبريلَ، وميكائيلَ، وإسرافيلَ، مُنزِّلَ التَّوراة والإنجيل، اهْدِني لِما اختُلِفَ فيهِ مِن الحقِّ بإذنِكَ، إنَّكَ تَهدي مَن تشاءُ إلى صراطٍ مُستقيم»[(٢)].

وَليُجدِّد التَّوبة والاستغفار، وَليَسألِ اللَّهَ تعالى اليَقينَ والعافيَةَ، فإنَّهُ – إن شاء اللَّه – لا يَنقَضي عنهُ أيَّامٌ إلاّ وَقَد عُوفيَ – إن شاءَ اللَّه – مِن مَرَضهِ، وسَلِمَ لهُ تَوحيدهُ، واستراحَ مِن الدُّخولِ في علم الكلام[(٣)]؛ الذي – واللَّه العظيم – تَعَلُّمُه لِدَرءِ دائهِ مُوَلِّدٌ لهُ أدواءً عَديدةً ربَّما قَتَلَتهُ!! بل لا تَقَعُ كثرةُ

(١) أي: لا يُوغِلُ فيه قبلَ ذَهابِ مَرَضهِ هذا.

(٢) وَقَد رَوى مسلمٌ (٧٧٠) نحوه مَرفوعاً.

(٣) وهو مِن أبوابِ الفلسفة!

الشكوكِ والشبهِ إلاّ لمن اشتغلَ بعلمِ الكلام والحِكمَةِ[1] !

فدواءُ هذه : رَمْيُ هذه الأشياءِ المُهلكةِ، **والإعراضُ عنها بالكُلِّيَّة**، والإقبالُ على كثرةِ التِّلاوَةِ والصَّلاةِ والدُّعاءِ والخَوفِ .

فأنا الزَّعيمُ[2] لهُ بأن يَخلُصَ له توحيدُهُ، ويُعافيهِ مَولاه .

وإن لَم يستعمل هذا الدَّواءَ، وداوىٰ الدَّاءَ بالدَّاءِ، وَغَرِقَ في أودِيَةِ الآراءِ والعُقولِ، فقد يسلمُ، وقَد يهلكُ ! وقَد يتعلَّل إلى أن يموتَ »[3].

○ وعن أبي الدَّرداء رضي اللَّه عنه، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ العُلماءَ وَرَثَةُ الأنبياء، إنَّ الأنبياءَ لم يُوَرِّثوا ديناراً ولا درهماً، وأورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ »[4].

قال الإمام ابنُ حبّان المتوفّى سنة (٣٥٤هـ) :

« في هذا الحديث بيانٌ واضحٌ أنَّ العُلماء الذين لهم الفَضلُ الذي ذَكَرناه، هم الذين يُعلِّمون علمَ النَّبيِّ ﷺ، دون غيره من سائر العلوم .

ألا تراهُ يقولُ : « العلماءُ ورَثَةُ الأنبياء »، و الأنبياءُ لم يُوَرِّثوا إلاّ العلمَ، وعلمُ نبيِّنا ﷺ سُنَّتُهُ، فمن تعرَّى عن معرفتها لم يكن مِن وَرَثَةِ الأنبياء »[5].

○ ومن أجملِ ما قيل :

العلمُ ميراثُ النَّبيِّ كذا أتىٰ ... بالنَّصِّ والعُلماءُ هم وُرّاثُـهُ
ما خلَّفَ المُختارُ غيرَ حديثِهِ ... فينا، فذاك متاعُهُ وأثاثُهُ

(١) والحكمة هنا باب من أبواب الفلسفة وليست الحكمة المحمودة في الكتاب والسُّنَّة .
(٢) أي : كفيل .
(٣) « مسائل في طَلَب العلم » (ص:٢٠٢-٢٠٣ - ضمن « ست رسائل ») .
(٤) رواه أبو داود (٣٦٤١) و (٣٦٤٢) من طريقين يُقوِّي أحدهما الآخر .
(٥) « الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان » (١/٢٩١) .

حول عناوين الكتب

وَوقفةُ معَ كتاب : « دفع شُبه التَّشبيه » !

مشهور بن حسن

الحمد للَّه ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلامُ على نبيِّنا محمَّد وعلى آلِهِ وصحبهِ أجمعين .

وبعد :

فهذه مقالة علميَّة مهمَّةٌ تعرَّضتُ فيها لأمرين مُهمَّين :

أحدهما : الأحكام الفقهيَّة المتعلِّقة بالكتب الشرعيَّة .

والآخَر : نقد الكتب المضلِّلة .

واكتفيتُ في الحلقة الأولى من هذه المقالة بما يخصُّ (عنوان الكتب) وما ينبغي للمؤلِّفين والمحقِّقين أن يُراعوه في ذلك، ونَرجو أن نثبت في حلقات قادمة، المزيد من أحكامٍ مهمَّة تخصُّ دور النَّشر والبائعين والمشترين والواعظين والمدرِّسين والمستعيرين والمالكين للكتب الشرعيَّة .

وكذا تعرَّضتُ في هذه الحلقة لكتابِ ابن الجوزي « دفع شُبه التشبيه » وبَيَّنتُ أنَّ ابنَ الجوزي مضطربٌ في الصِّفات، وأنَّهُ لا ينبغي التَّعويل على كلامه، وبيتُ القصد من هذا في هذا المقام بيانُ تدليس وتلبيس محقِّق الكتاب في زعمه أنَّ التَّأويلَ لصفاتِ الباري جلَّ وعلا بمعناه المعروف عند المتأخِّرين واقعٌ عند السَّلف الصَّالحين، وسنكشف خطأ هذا بالتَّفصيل في حلقات قادمة

إن شاء اللّه تعالى .

وسنضيف إلى هذين الأمرين في العدد القادم - بإذنه تعالى - مبحثاً ثالثاً وهو (كتبٌ ننصح بقراءتها)، واللّهُ الموفِّق، لا ربَّ سواه .

الأحكام الفقهيَّة المتعلِّقة بالكتب الشرعيَّة :

○ عنوان الكتاب

ينبغي للمؤلِّف أن يُحسنَ اختيارَ عنوان كتابه، فإنَّ للاسم تعلُّقاً بالمسمَّى، ومن عجائب الاتِّفاق أنَّ الذين أدركهم الإسلام من أعمام النَّبي ﷺ أربعة : لم يُسلم منهم اثنان، وأسلم اثنان، وكان اسم من لم يسلم ينافي أساميَ المسلمين، وهما : أبو طالب، واسمه : عبد مناف، وأبو لهب، واسمه : عبدالعزَّى، بخلاف من أسلم، وهما : حمزة والعبَّاس[1] .

وأخرجَ الدَّارقطني بسندهِ إلى المدائني قال : كان خبيَّة بن كنَّاز على الأُبُلَّة، فقال عمر بن الخطَّاب : لا حاجةَ لنا فيه، هو يُخَبِّىءُ، وأبوه يَكنِزُ[2] .

فالكتابُ بالنِّسبة لمؤلِّفه لا يقلُّ أهميَّة عن ولده، فهو ابنٌ لأفكاره، والولد ابن لنسله، وكلاهما يحفظ اسمه وشيئاً من رسمه، فكما يختار الأب اسماً حسناً لولده، على المؤلِّف أن يختارَ اسماً حسناً لكتابه، وعليه أن يُراعي فيه ما يلي :

أوَّلاً : البُعد عن السَّجع المُتكلَّف، وعدم الوضوح، فإنَّهُ أدعى للإقبالِ عليهِ والاستفادة منه .

ثانياً : مطابقة اسمه لمادَّته، وليوافق الخَبر الخَبَر .

ثالثاً : عدم التَّطويل إلاّ أن دَعَت الحاجة لذلك، فإنَّهُ أدعى للاستقرار والحفظ .

رابعاً : عدم تسميته بما يُشعر بموافقة منهج المبتدعة، من مثل الإيمان بالإلهام، والكشف، والفيوضات، والفُتوحات، والعصمة لآل البيت ونحوها من العناوين التي

(١) « فتح الباري » (٧/١٩٦) .

(٢) أخرجه الدَّارقطني في « المؤتلف والمختلف » (١٩٦٥) .

تَمَجُّدُ خرافاتِ الصُّوفيّة، وبواطيل الشيعة، وتُرَّهات أهل الزَّيغ والضَّلال .

خامساً : أن لا يكون فيه مخالفاتٌ شرعيّة، من مثل : دعوى إلى منهج المستشرقين (الإسرائيليّين الجدد)، أو دعوى للرَّذيلة، والأخلاق السَّيّئة، أو ما يناقض المُقرَّر في العقيدة الإسلاميَّة .

قال أبو علي عمر السَّكُوني (المتوفَّى سنة ٧١٧هـ / ١٣١٧ م) :

« ويقع في تسمية الكتاب أسماءٌ غير جائزة، مثل تسمية بعض الكتب « الإسرى » وتسمية بعضها : « المعراج » وبعضها « المعارج »؛ وهذا يُوهم أنَّ المصنِّف سُري به إلى السَّماء، فوجب مَنْعُهُ لكونه يُشير إلى مزاحمة النَّبي ﷺ في ذلك .

ومن ذلك تسميةُ بعضها : « مفاتيح الغيب » وتسميةُ بعضها : « الآيات البيِّنات » لأنَّ ذلك يُوهم المشاركةَ فيما أنزله اللَّهُ على نبيِّه، قال اللّه تعالى : ﴿ بل هُوَ آياتٌ بيِّنات في صُدورِ الَّذينَ أُوتوا العلم ﴾ [الأنعام:٥٩] .

كذلك يُوهم تسميةُ كتابه : « مفاتيح الغيب » المشاركةَ فيما عنداللّه تعالى، قال اللّه تعالى : ﴿ وعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيبِ لا يعلمُها إلاّ هو ﴾ [العنكبوت:٤٩] فَلْتُجْتَنَب هذه التَّسميات، وما شاكلها من المُوهمات »[1]. انتهى .

وممَّا لا بُدَّ من التَّنبيه عليه هُنا : سوء صنيع كثير من المحقِّقين والنَّاشرين في كتبهم بأسماء مصنَّفات الأقدمين، فتراهم يَتفنَّنون في تبديل أسمائها لقلَّة تحصيلهم العلمي تارة، وطمعاً في تغرير القرّاء تارةً أُخرى، فيوهمونهم أنَّ الكتاب لم يطبع بوضع اسم جديد له - من عندهم - طَمَعاً في الرِّبح المادِّي؛ فساءَ ما يصنعون، فينبغي الأخذُ على أيديهم .

ونقول لهم : اتَّقوا اللَّهَ ربَّ الأرض والسَّماء، ودعوا عنكم هذه الأدواء .

وإلى اللقاء في العدد القادم إن شاء اللَّهُ ....

(١) « لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام » (٢٠٨-٢٠٩) .

○ كتاب «دفع شبه التَّشبيه» لابن الجوزي، لمحقِّقه المزعوم (!) حسن السَّقَّاف .

هل صحَّ التَّأويل عن أحدٍ من الصَّحابة والسَّلف ؟

يستخدمُ الأشاعرةُ كلمةَ (التَّأويل) ويجعلونها أداة لهدم النُّصوص وتحريفها عمَّا أرادَ اللَّه، وقبل أن نصولَ ونجولَ مع واحدٍ من مُحْدِثيهم ممن فعلَ ذلك، وتعدَّى على الصَّحابة والسَّلف الصَّالح؛ فنسب إليهم زوراً وبُهتاناً ماهم منهُ براء، نتعرَّض – بإيجاز – إلى تجلية كلمة (التَّأويل) المرادة بهذه المقالة، فنقول :

○ معنى التَّأويل :

يطلق (التَّأويل) ثلاثة إطلاقات :

الأوَّل : بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الأمر، وهذا هو معناه في القرآن .

الثَّاني : يرادُ به التَّفسير والبيان، وهذا مرادُ ابن جرير وغيره من العلماء : « القول في تأويل قوله تعالى : كذا وكذا ... » أي : تفسيره وبيانه، ومنه قول عائشة الثَّابت في « الصَّحيح » : « ما كانَ رسولُ اللَّه ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهمَّ ربَّنا وبحمدك اللهمَّ اغفر لي، يتأوَّل القرآن »، تعني : يتمثلهُ ويعمل به .

الثَّالث : معناهُ المُتأخِّر المتعارف في اصطلاح الأصوليِّين، وهو صرفُ اللفظ عن ظاهره المتبادر منهُ إلى محتمل مرجوح بدليل يدلُّ على ذلك !!

○ كذب على السَّلف في نسبة التَّأويل بالمعنى الأخير لهم :

يزعم كثيرٌ من الأشاعرة أنَّ التَّأويل بالمعنى الثَّالث المرقوم آنفاً قد ورد في الأسماء والصِّفات عن كثير من السَّلف : الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم من العلماء الأخيار الذين هم من الدُّعاة إلى منهج السَّلف وعقيدتهم، ومن بين هؤلاء : ما سطَّره محقِّق (!) الطَّبعة الأخيرة الصَّادرة عن (دار الإمام النَّووي) سنة ١٤١٢هـ في مقدِّمة تحقيقه لكتاب ابن الجوزي : « دفع شبه التَّشبيه بأكفِّ التَّنزيه » !! فإنَّهُ عقد باباً في مقدِّمة التَّحقيق بعنوان (إثبات التَّأويل عند السَّلف) قال فيه (ص ٧) بعدَ أخذٍ وردٍّ :

« ... فظنُّوا أنَّ ما يقولُه بعضُ المشبِّهة من أنَّ التَّأويلَ ضلال وبدعة وتعطيل تجهم وأنَّهُ لم يكن عند السَّلف حقّاً، وليس الأمر كذلك على الحقيقة، بل مَن قرأ ودرس وفتّش وبحث وطالع ونقّب فإنَّه سيجد لا محالة أنَّ العدول من الأئمَّة الثِّقات في القرون الثَّلاثة المشهود لها بالخيريَّة لا المسمَّاة عند بعض العلماء بقرون السَّلف قد أوَّلوا كثيراً من النُّصوص المتعلِّقة بموضوع الصِّفات والتَّوحيد وبيَّنوا أنَّ الظاهرَ منها غير مراد، وحسبي في مثلِ هذا المقام أن أسرُدَ بعضَ تأويلاتهم وأن أُبيِّنَ قبل ذلك أنَّهم تعلَّموا التَّأويل من كتاب الله وسنَّة سيِّدنا محمَّد ﷺ الصَّحيحة ..» .

ثمَّ أخذَ في ضربِ الأمثلة، وبيان التَّأويل الذي وقعَ في كلام الصَّحابة والعلماء - زَعمَ - ممن يحمل العقيدة السَّلفيَّة، ويذبُّ عنها .

وقبل أن نناقشه ونبيِّنَ خطأَهُ وضلالَهُ فيما ذهبَ إليهِ، أرى من اللازم عليَّ بيانَ الأمور التَّالية :

أوَّلاً : اضطراب ابن الجوزي في الأسماء والصِّفات، وإنكار الحنابلة مذهبَهُ في ذلك :

أثار كتابُ ابن الجوزي « دفع شبه التَّشبيه ... » ضجَّة كبيرة منذ زمن طويل، وتعلَّقَ بهِ كثيرٌ من أعداءِ السَّلفيِّين في صفات الله سبحانه، وطاروا به كلَّ مطار، وعمل على خدمته عدَّةٌ ممَّن يحملون لواء المحاربة للعقيدة السَّلفيَّة، من أمثال : محمَّد بن زاهد الكوثري قديماً، والسَّقَّاف أخيراً، حيث سوَّدَ الكتابَ بمقدِّمة وتعليقات وحواشي ونقولات تُنبيءُ عن حقد، وتدلُّك على جهل، وقلَّةِ فهمٍ، وقصور باعٍ في العلمِ، بله على تعصُّب ذميم يُعمي عن الحق والصَّواب، إن لم نقلْ : يكشف عن ضلالٍ غارقٍ صاحبهُ فيه، يجعلهُ - ما دام هكذا - لا يَرى النُّور، ولا الطَّريق الموصلة إليهِ .

وقبلَ أن نتعرَّض إلى بيان شيءٍ من تلبيساته وتدليساته على السَّلف ومن سار على منهجهم فيما يتعلَّق بالتَّأويل، أرى من الضَّروري هنا نقل شذرات من كلام الأئمَّة الأعلام في بيان اضطراب ابن الجوزي في الأسماء والصِّفات، خصوصاً من كانَ منهم

من الحنابلة، لأنهم هم أدرى بمذهب إمامهم، وسأختم هذه الشذرات بفقرات من رسالة وجهها بعض فضلاء الحنابلة إليه، فأقول وعلى الله الاعتماد والتُّكلان :

– قال ابن رجب الحنبلي في ابن الجوزي : « نقم عليه جماعةٌ من مشايخ أصحابنا وأئمَّتُهم ميلَه إلى التأويل في بعض كلامه، واشتدَّ نكيرهم عليه في ذلك، ولا ريب أنَّ كلامه في ذلك مضطرب مختلف، وهو وإن كان مطَّلعاً على الأحاديث والآثار، فلم يكن يحلّ شبهُ المتكلِّمين وبيان فسادها، وكان معظِّماً لأبي الوفاء ابن عقيل متابعاً لأكثر ما يجدهُ من كلامه – وإن كان قد ردَّ عليه في بعض المسائل – وكان ابن عقيل بارعاً في الكلام، ولم يكن تامَّ الخبرة بالحديث والآثار، فلهذا يضطرب في هذا الباب، وتتلون فيه آثاره، وأبو الفرج تابع له في هذا التَّلوُّن » .

وقال ابن قدامة المقدسي : « كان ابن الجوزي إمام عصره، إلاَّ أنَّنا لم نرتضِ تصانيفه في السُّنَّة ولا طريقته فيها » كذا في « ذيل طبقات الحنابلة » : (٤١٥/١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في « مجموع الفتاوى » : (١٦٩/٤) : « إنَّ أبا الفرج نفسه مُتناقضٌ في هذا الباب[١]، لم يَثبُت على قدم النَّفي، ولا على قدم الإثبات، بل له من الكلام في الإثبات نظماً ونثراً ما أثبتَ به كثيراً من الصِّفات التي أنكرها في هذا المصنَّف[٢]، فهو في هذا الباب مثلُ كثير من الخائضين في هذا الباب من أنواع النَّاس، يُثبتون تارة، ويَنفُون أخرى في مواضعَ كثيرةٍ من الصِّفات، كما هو حال أبي الوفاء بن عقيل وأبي حامد الغزالي » .

ولست هنا بصدد ضرب الأمثلة، وتتبُّع التأويل أو التَّفويض أو الإثبات الواقع في كلام ابن الجوزي في تصانيفه المختلفة وإنَّما همِّي هنا التَّنبيهُ على أنَّهُ لا يجوز لباحث شادٍ جادٍّ منصفٍ، يريد الحقَّ ويبتغي الوصولَ إلى الصَّواب أن يعتمدَ على مثل كتاب ابن الجوزي هذا، ويبثَّ سمومَهُ وحقدَهُ على السَّلفيِّين، ويعتبرَهُ مثالاً على وقوع التَّأويل عند السَّلف ! ! كما فعلَ السَّقَّاف حيث ختمَ مبحثه (إثبات التَّأويل عند السَّلف) الذي

(١) أي : باب الأسماء والصِّفات .

(٢) أي : « دفع شبه التَّشبيه » .

وضعه تقديماً لكتاب ابن الجوزي (رقم:١٨) فقال (ص:٢٠) : « الحافظ ابن الجوزي رحمه الله مؤوِّل أيضاً : كتابنا هذا « دفع شبه التَّشبيه » يثبت ذلك عنهُ بلا شك، والله الموفِّق » ثمَّ قال : « فهذه ثماني عشرة نقطة فيها أكثر من عشرين تأويلاً عن الصَّحابة وأهل القرون الثَّلاثة من أئمَّة العلماء والمحدِّثين كلها تثبت مع الأدلَّة التي سقناها في صدر الكلام أنَّ التَّأويل حقٌّ، وأنَّهُ من قواعد الشريعة، وأنَّهُ من منهج السَّلف الصَّالح، والله الموفِّق » . انتهى .

وقبل أن نَضَع هذا الكلام في ميزان الحقّ، ليتبيَّن لنا ما فيه من عَوارٍ ومجانبة للصَّواب، نذكر فقراتٍ من رسالة وجَّهها الشيخ الزَّاهد القدوة إسحاق بن أحمد العَلْثي لعصريه ابن الجوزي أنكرَ فيها عليه مذهبه في الصِّفات، ومما جاء فيها :

« واعلم أنَّهُ قد كَثُرَ النَّكيرُ عليك من العلماء والفضلاء، والأخيار في الآفاق بمقالتك الفاسدة، وقد أبانوا وَهاءَ مقالتك، وحكوا عنك أنَّكَ أبيتَ النَّصيحة، فعندك من الأقوال التي لا تليق بالسُّنَّة ما يضيق الوقتُ عن ذكرها ... » .

وقال : « ... ثمَّ تعرَّضتَ لصفات الخالق تعالى، كأنَّها صدرت لا من صدرٍ سَكَن فيه احتشام العليِّ العظيم، ولا أملاها قلبٌ مُليءٌ بالهيبة والتَّعظيم، بل من واقعات النُّفوس البهرجيّة الزُّيوف .. وزعمتَ أنَّ طائفة من أهل السُّنَّة والأخيار تلقَّوها وما فهموا ... وحاشاهم من ذلك، بل كفُّوا عن الثَّرثرة والتَّشدُّق، لا عجزاً – بحمد الله – عن الجدال والخصام، ولا جهلاً بطرق الكلام، وإنَّما أمسكوا عن الخوض في ذلك عن علمٍ ودرايةٍ، لا عن جهلٍ وعمايةٍ .

والعجب ممن ينتحل مذهب السَّلف، ولا يرى الخوضَ في الكلام، ثم يُقدِمُ على تفسير ما لم يره أوَّلاً، ويقول . إذا قلنا كذا أدَّى إلى كذا، ويقيس ما ثبت من صفات الخالق على ما لم يثبت عنده، فهذا الذي نهيت عنه، وكيف تنقض عهده !؟ وقولك بقول فلان وفلان من المتأخِّرين ؟ فلا تُشمِت بنا المبتدعة، فيقولون : تنسبونا إلى البدع وأنتم أكثر بدعاً منَّا، أفلا تنظرون إلى قول مَن اعتقدتم سلامة عَقْدِه، وتثبتون بمعرفته وفضله ؟ كيفَ أقولُ ما لم يُقل، فكيفَ يجوزُ أن تتَّبع المتكلِّمين في آرائهم، وتخوض مع الخائضين

فيما خاضوا فيه، ثمَّ تنكر عليهم ؟ هذا من العجب العجاب، ولو أنَّ مخلوقاً وصفَ مخلوقاً مثله بصفاتٍ من غير رؤية ولا خبر صادق؛ لكان كاذباً في إخباره، فكيف تصفون اللَّه سبحانه بشيء ما وقفتم على صحّته، بل الظُّنون والواقعات، وتنفون الصّفات، التي رضيها لنفسه، وأخبرَ بها رسولُه، بنقل الثِّقات الأثبات؛ بيحتمل ويحتمل » .

ثمَّ قال : « وتدَّعي أنَّ الأصحاب خلطوا في الصّفات، فقد قبّحت أكثر منهم، وما وسعتك السُّنَّة، فاتّقِ اللَّه سبحانه، ولا تتكلَّم فيه برأيك فهذا خبرُ غَيبٍ، لا يُسمع إلاّ من الرَّسولِ المعصوم، فقد نصبتم حرباً للأحاديث الصَّحيحة، والذين نقلوها نقلوا شرائع الإسلام » .

وفيها بعد كلام فيه مُناقشةُ تأويلٍ لبعض الصّفات وقع لابن الجوزي :

« فكيفَ هذه الأقوال ؟ وما معناها ؟ فإنَّا نخاف أن تحدث لنا قولاً ثالثاً، فيذهب الاعتقاد الأوّل باطلاً، لقد آذيتَ عباد اللَّه وأضللتهم، وصارَ شغلك نقل الأقوال فحسب، وابن عقيل سامحه اللَّه، قد حكي عنه : أنَّه تاب بمحضر من علماء وقته من مثل هذه الأقوال، بمدينة السَّلام – عمرها اللَّه بالإسلام والسُّنَّة – فهو بريء – على هذا التَّقدير – ممَّا يوجد بخطِّه، أو يُنسب إليه، من التَّأويلات، والأقوال المخالفة للكتاب والسُّنَّة .

وأنا وافدة النَّاس والعلماء والحفَّاظ إليك، فإمّا أن تَنتَهي عن هذه المقالات، وتتوب التَّوبة النَّصوح، كما تاب غيرك، وإلاّ كشفوا للنَّاس أمرك، وسيَّروا ذلك في البلاد وبيَّنوا وجه الأقوال الغثَّة، وهذا أمر تُشُوِرَ فيه، وقضي بليل، والأرض لا تخلو من قائم للَّه بحجَّة، والجرح لا شك مقدَّم على التَّعديل، واللَّه على ما نقول وكيل، وقد أعذر من أنذر .

وإذا تأوَّلت الصّفات على اللغة، وسوَّغته لنفسك، وأبيتَ النَّصيحة، فليس هو مذهب الإمام الكبير أحمد بن حنبل قدَّس اللَّه روحه، فلا يمكنك الانتساب إليه بهذا، فاختر لنفسك مذهباً، إن مكنت من ذلك، وما زال أصحابنا يجهرون بصريح

الحق في كل وقت ولو ضُربوا بالسُّيوف، لا يخافون في الله لومة لائم، ولا يبالون بشناعة مشنِّع، ولا كذب كاذب، ولهم من الاسم العذب الهنيّ؛ وتركهم الدُّنيا وإعراضهم عنها اشتغالاً بالآخرة : ما هو معلوم معروف .

ولقد سوَّدت وجوهنا بمقالتك الفاسدة؛ وانفرادك بنفسك، كأنَّك جبَّار من الجبابرة؛ ولا كرامة لك ولا نعمى، ولا نمكنك من الجهر بمخالفة السُّنَّة، ولو استقبل من الرأي ما استدبر : لم يحك عنك كلام في السهل، ولا في الجبل، ولكن قدر اللَّه، وما شاء فعل، بيننا وبينك كتاب اللَّه وسنَّة رسوله، قال اللَّه تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللَّه والرَّسول ﴾ ولم يقل : إلى ابن الجوزي .

وترى كل من أنكر عليك نسبته إلى الجهل، فضل اللَّه أُوتيته وحدك ؟ وإذا جهَّلت النَّاس فمن يشهد لك أنَّك عالم ؟ ومن أجهل منك، حيث لا تصغي إلى نصيحة ناصح ؟ وتقول : من كان فلان، ومن كلان فلان ؟ من الأئمَّة الذين وصل العلم إليك عنهم، من أنت إذاً ؟ فلقد استراح من خاف مقام ربِّه، وأحجمَ عن الخوض فيما لا يعلم، لئلاّ يندم .

فانتبه يا مسكين قبل الممات، وحسِّن القول والعمل، فقد قرب الأجل، للَّه الأمر من قبل ومن بعد، ولا حولَ ولا قوَّة إلاّ باللَّه العليّ العظيم » انتهى من « الذيل على طبقات الحنابلة » : (٢/٢٠٩-٢١١) بتصرُّف واختصار .

فهذه الشذرات من هذه الرِّسالة المهمَّة تبيِّنُ أنَّ اضطرابَ ابن الجوزي في الصِّفات مكشوفٌ عند الأقدمين، وأنَّهُ لم يستقر على شيء في هذا الباب العظيم من أبواب التَّوحيد، وأن ما ينقله عن العلماء ينبغي أن يُتوقَّف فيه، ويعرض على القواعد والمقررات، فيؤخَذ منه الصَّواب، وينبذ منه الخطأ والبطلان .

ومن الجدير بالذكر هنا أنَّ ابن الجوزي ذكر في مقدِّمة كتابه (ص:٩٧-٩٩) أنَّ ثلاثة من الحنابلة قد صنَّفوا في باب الصِّفات، من بينهم القاضي أبو يَعلى، وأنَّهم غَلَوْا في الإثبات، ونقل المحقِّق في الهامش عن ابن العربي قوله في « العواصم » (٢/٢٨٣) : « أخبرني من أثق به من مشيختي أنَّ القاضي أبا يعلى الحنبلي كان إذا ذُكرَ اللَّه سبحانه

يقول فيما وردَ من هذه الظواهر في صفاته تعالى : « ألزموني ما شئتم فإنّي ألتزمه إلاّ اللحية والعورة » ! قال بعض أئمّة أهل الحقّ : وهذا كفرٌ قبيحٌ واستهزاءٌ باللَّه تعالى، وقائلهُ جاهلٌ به تعالى لا يقتدي به، ولا يُلتفتُ إليهِ، ولا متّبعٌ لإمامه الذي ينتسبُ إليه ويتستّرُ به، بل هو شريكٌ للمشركين في عبادة الأصنام، فإنّه ما عَبَدَ اللَّهَ ولا عرفه، وإنّما صوَّر صنماً في نفسه تعالى اللَّه عمّاً يقول الملحدون الجاحدون علوّاً كبيراً » انتهى .

قلت : وقد سكت المحقِّق على هذا، ونقل قبله كلاماً للكوثريِّ فيه تشنيعٌ وتشغيبٌ على أبي يَعلى ! مع أنّه قرَّر في مقدِّمَة هذا الكتاب (ص:٢٧ وما بعدها) أنَّ العقيدة لا تؤخَذ بالآحاد !! **فكيفَ يُقَرِّر كُفرَ أبي يعلى وتَضليله بخبر واحدٍ ينقل شيئاً عن مجهول غير معروف**، وهل التَّكفير من أبواب العَقيدة أم لا ؟! أم أنَّ تكفير الحنابلة أو تضليلهم أمرٌ سائغٌ لا يحتاج إلى دليلٍ، أو بيِّنَةٍ ! حقّاً إنَّهُ التشهِّي والهوى .

ورحم اللَّه شيخَ الإسلام فإنَّهُ قال عن أبي يَعلى في « درء تعارض العقل والنَّقل » (٥/٢٣٧-٢٣٩) : « وشنَّعَ عليهِ أعداؤه بأشياء هو منها بريء، كما ذكر هو ذلك في آخر الكتاب، وما نقله عنه أبو بكر بن العربي في « العواصم » كذبٌ عليه عن مجهول لم يذكره أبو بكر، وهو من الكذب عليه، مع أنَّ هؤلاء وإن كانوا نقلوا عنه ما هو كذبٌ عليه، ففي كلامه ما هو مردود نقلاً وتوجيهاً » ثمَّ قال : « ويُقال: إنَّ أبا جعفر السِّمناني شيخ أبي الوليد الباجي قاضي الموصل، كان يقول عليه ما لم يقله، ويقال عن السمناني أنَّهُ كان مُسمَّحاً في حكمه وقوله » .

وهذه عاصمةٌ لتلك القاصمة ..

يتبع في العدد القادم إن شاء اللَّه .....

□ □ □ □ □

مَعَ ابن تيميَّة في كتابه « النُّبوَّات »

محمد إبراهيم شقرة

ابنُ تيميَّة ذلك الجبل الشامخ الرَّاسخ، ما طاوله جبل إلا وتطامن، ولا قاوله لسان إلا وأبلس، ولا نظر إليهِ بصر إلا ارتدَّ عنه خاسئاً وهو حسير، ظل يدفعُ في صدورٍ أظلمت ببغض الحق، حتى ردَّها مُستسلمة بظلماتها إلى وراء وراء، ويَذود عن حياض العقيدة التي ساغت مواردها حتى لقي ربَّهُ، ويُبَصِّرُ الأُمَّة كلها - ضُلاَّلها ومهتديها - بمواقع الهدى والمعروف والإحسان حتى أسلم روحَه لخالقها، في جرأة لا تعرف التَّردُّد، وفي يقين لا يعرف التحيُّر، وفي صبر لا يعرف الجزع .

وما خرجَ من الدُّنيا إلاّ وقَد خلَّفَ من ورائه عشرات المجلَّدات، والكتب، والرَّسائل، في كل المعارف الإسلاميَّة، يعجز عنها الجمُّ الغفيرُ من المتخصصين فيها، فقد كانَ - رحمه اللَّه تعالى - آيةً في الحفظ، وحضور الذِّهن، وقوَّة العارضة، وسعة الاطِّلاع، وغزارة الفكر، ومتانة الحجَّة، وصارت القرون من بعده تسعى إلى تراثه العظيم، المتمثِّل في تلك المجلَّدات، والكتب، والرَّسائل، تبحث عنها في كلِّ مكان ينتهي إلى علمها وجودُها فيه، فإذا ما أصابَت طائفةً طائفةً منها، علمت أنَّها قَد أصحَت على وَفرَة من المعرفة، ما كانت لتنالها لو أنَّها لم تُصب تلك الطَّائفةَ من تراث ابن تيميَّة رحمه اللَّه .

○○○

وابن تيميَّة رحمه اللَّه ليس في حاجة إلى شهادة مثلنا ليعرف النَّاسُ مَن

ابنُ تيميَّة، ومن البلاء الذي لا يُدانيه بلاءٌ في الجهل أن يكون ابن تيميَّة – وهو الجبل الأشمُّ الراسخ – ليس معروفاً عند ملايين المسلمين، وأعظم من هذا البلاء وأشد، أن يسخر الشيطان طوائف من المسلمين – ممن يدَّعون العلم – ليقولوا في ابن تيميَّة مقالة تميد لها الأرض، وتخرُّ لهولها الجبال، فقالوا – ويا سوء ما قالوا – : قالوا : ابن تيميَّة (كافر) !!! ولم يجدوا مَن يُلجم أفواههم !! ويُلقمهم حجارة تُحَطِّم فيها أسنانهم !! ويملؤها رماداً تغصُّ بها حلوقهم !!!

وأعظم من بلاء هؤلاء وأشدُّ أن تكون المقالة من زعانف، حفظُها القمامة، ومآلها النِّفاية !! أي والله !! فلا أدري ما الذي يُجرِّئُهُم على هذا الطَّود الشامخ الرَّاسخ ؟! هل هو الغرور ؟! هل هو الجهل ؟! – لو كان أحدهما شأن الخطب رغم فظاعته !! لكنَّه التَّزبُّب قبل التَّحصرُم !! .

فإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعون .

وحسبنا من علم هذا الطود الشامخ الرَّاسخ كتابٌ واحدٌ من كتبه وهو كتاب « النُّبوَّات »، وما أردت منه الانتصار لابن تيميَّة في آرائه الفقهيَّة، والعقديَّة، فمثلي يكفيه أن يقرأ، ويفيد لنفسه مما يقرأ !! لكن أردت أن أوردَ في مقالي هذا لوناً معرفيّاً جليلاً، لا يُعرف إلاّ عند هذا الرَّجل، أو عند من أخذَ عنه مباشرة، أو عند من قرأ كتبه، وأفاد منها بصدق جدِّه، ودأبه، وطول نظره وتبصُّره، أمَّا الذين غووا بكبرهم، وسوء ظنهم، واتِّباعهم الأشياخ في تسليم كُلِّي، فهؤلاء لا تُرجى لهم السَّلامة في دينهم ولا في آخرتهم، وحسبهم أنَّهم يَلْقَوْنَ ربَّهم بكبرهم عن الحقِّ، وسوء ظَنِّهم في هذا الطَّودِ الشامخ .

○○○

وابن تيميَّة في هذا الكتاب كعادته في غيره، طولُ نفسٍ، وروعةُ نَسَقٍ،

ودقّةُ استطراد، ونصاعةُ عبارة، وسلامةُ معنى، وقوّةُ سبك، يطالعك في كُلّ فصل من فصوله، وجهُهُ المتهلّلُ حبوراً وبِشراً بما ترى أنّهُ قد وُفّقَ إليه، دفاعاً عن الحق الذي جَهِلَه طوائفُ، واستكبر عنه آخرون، ولانَت قلوبٌ، وافاها على بصيرة وعلم، فكانت الغَلَبَةُ له ولأهله، وإن طال الأمدُ، وبدا لأهل الباطل زماناً أنّهم المنصورون .

لذا، فإنّني لا أجد بدّاً من أن أنصحَ كلَّ واحدٍ مِن قُرّاءِ العربيّة أن يحرص على قراءة هذا الكتاب الجليل، ليعرف هذا الطَّود الشامخ من لا يعرفه أوّلاً، ولكي يفيد علماً لا يفيده إلاّ من هذا الكتاب ثانياً، فإمّا أن يكون منصفاً فيعرف حق ابن تيميّة عليه، فيذود عن عِرضهِ ودينهِ، وينتصف له من كل مَن حُرم الخلق الحسن وتقوى اللّه، فجار عليه بسوء خلقه وفجوره، فكان بذلك بارّاً بالشيطان، عدوّاً لأولياء الرّحمن، وعلى رأسهم شيخنا ابن تيميّة، علم الأعلام، وشيخ الإسلام .

والطّاعنون على ابن تيميّة، والقائلون عليه بهتاناً ومَيْناً، لو أنّهم خلعوا عن قلوبهم الضّغَنَ عليه، وغسلوا صدورهم من الوغر الرّائن عليها له، وقرأوا كتبه بتجرّد وبلا وَجَلٍ من هيمنة الأشياخ الجُهلاء، لعلموا أنّهم وإن بلغوا شأواً بعيداً في المعرفة والعلم – إحساناً بالظّنّ في أنفسهم – أنّهم من غير أن يُلِمُّوا بشيء من محيط علم هذا الرّجل، فلا زالوا يقفونَ عند أوّلِ درجات سُلّم العلم، وأنّهم لن يرقوا الثّانية والثّالثة إلاّ إنْ هم أفادوا من كتبه، ورسائله، ومجلّداته التي أصبحت تملأ الخافقين، ولم يعد الشباب المسلم، الرّاغبون في التّزوّد بالمعارف الإسلاميّة، يأبهون لمقالات الأشياخ العاجزين !! في الطّعن عليه، وتكفيره، واتّهامه بما يُرْخِصُ المُتّهِمَ الباهتَ، وَيَحُطُّ من قدره – حتى في نظر الأتباع المتهالكين على أعتابهم، تلمُّساً للبركة والعلم والفقه – ذلكم أنَّ

الزَّمان غير الزَّمان، ووسائل المعرفة وطرقها، أضحت كثيرة جدًّا، ثمَّ هناك شيءٌ آخر مهم جدًّا وهو :

إنَّ الكذب يُردي أوّل من يُردي الكَذَبَة أنفسَهم ويكشفُ عوارهم – وإنْ أَلْحَقَ بعض الأذى بالمفترى عليهم – فحبل الكذب قصيرٌ، حتى في أيسرِ الأمور وأهونها، فكيف في أعسرها وأصعبها ؟!

ولقد علمتْ طبقاتُ هذه الأُمَّة، أُناساً طبّقت شهرتُهم العلميَّةُ آفاق الأرض، وصاروا على ألسنة الغادين والرّائحين، وشهدت أسماؤهم مجالسَ التَّعليم والدَّرس، وإذا ما عُرضوا على ضوء أسرجة العلم الصَّحيح، المؤسَّس على الكتاب والسنَّة، رأيتَ وجوهَهُم مسودَّةً عياذاً باللَّه من جهلهم ببدهيَّات العلم الصَّحيح، بيد أنَّهم عند الدهماء مُقدَّمون على ابن تيميَّة وابن القيِّم، وابن حزم، وابن قدامة، والنَّووي، وغيرهم من الأعلام الشاهقة، ذلكم أنَّهم جَرَوْا في مضمار الحياة العصريَّة وعَرَصاتها، وأركَضوا بِغالهم في المدنيَّة الغربيَّة، ثمَّ أناخوها في ساحاتها وعَرَصاتها، المملوءَةِ عقاربَ وأفاعي وعناكب سوداء سامَّة !!! يبيعون منها قَدْراً وافراً، ثم يكونون في فتاواهم الشرعيَّة (زعموا) !! غير مخالفين عن مُراد تلك العقارب، والأفاعي، والعناكب !! فكل ما أفرزته المدنيَّة الغربيَّة من عقود، ومعاملات اقتصاديَّة، وأحوال اجتماعيَّة خاضعين في هذه الفتاوى للعقل فقط، غير ناظرين فيها إلى الأدلَّة الشرعيَّة من كتاب وسنَّة التي تَرُدُّ هذه الفتاوى برُمَّتها، مُعْرِضين عن كل ما يُؤثَرُ عن سلف هذه الأُمَّة – وأوّلُهم القرونُ المفضَّلةُ الثَّلاثة الأولى – من وَرَعٍ آثروا به الفقر على الغنى، والسقم على العافية، والجوع على الشبع !! فكانوا بحقٍّ من خير أمَّة أُخرجت للنَّاس .

إذا لم يكن عجيباً أن نرى اليوم من يفتري الكذبَ على ابن تيميَّة،

وينسب إلى الكفر والضّلال !! فهلا اتّقى الصُّغراءُ الجُهلاءُ، المُصفرَّةُ وجوهُهم !! الأدعياءُ البُلهاءُ، البُلّدُ حِسُّهُم !!! ألا اتّقوا ربّهم واقلعوا عن السُّخف العقلي والنّفسي، وزحزحوا أنفسهم عن خيالات المرورين – أن لم يكونوا منهم – ورأوا أنّهم على حدِّ المثل القائل :

كناطحٍ صخرةً يوماً ليُوهِنَها فلم يَضِرها وأوهى قَرْنَهُ الوَعِلُ

إنَّ كتاب « النُّبوَّات » هذا الذي ذكرناه آنفاً، يقف القارىءَ على جادَّة في مسألة المعجزة والكرامة، والأمور الخارقة، التي يُلَبِّسُ بها الأشرار والفُجّار والخبثاء، على العامّة والدهماء: فيحسبونهم بها أتقياء، صُلَحاء، أصحابَ كرامات، فهم يرون بأُمِّ أعينهم ناراً متلهِّبَة تدخل الأجوافَ فلا تؤذيها، وتحيطُ بالأجساد فلا تحرقها، وتلامس الوجوه فلا تُؤثِّر فيها، ويُبصرون بِحِرابٍ تُغرس في الوجوه والبطون والرقاب، فلا تُحدث أثراً من جرح أو دم أو ندبةٍ، فإن لم تكن هذه كراماتٍ فما تكون الكراماتُ إذاً ؟! ويجد هؤلاء العامّةُ والدهماءُ أنفسهم مُقادين في طواعيَة عمياءَ لأولئك الأشرار الفجّار الخبثاء، لا يعصونهم فيما يأمرون وإن كان معصية وحراماً، ويُطيعونهم فيما ينهونهم عنه وإن كان واجباً وطاعة .

مما تقدَّم أجدني ناصحاً مُخلصاً لكل قاريء أن يشتري هذا الكتاب « النبوّات »، أو يستعيره فيقرأه قراءة متأنِّية ليكون مِن بَعدُ على بيِّنة من أمره، ولكي يعرفَ الفرقَ بين المعجزة، وبين الكرامة، وبينهما من جهةٍ وبين ما تبدو أنّها من الخوارق الزّائفة من جهةٍ أُخرى، التي يستكثر بها أصحاب الأتباع، ويُشبعون بها الأطماع، ويستدرجون بها المُتخمين والجياع !!

ثمرات الكُتُب

علي بن حسن

هذه كلماتٌ سِمانٌ مُنتقاةٌ مِن بُطونِ الكُتُب، تحوي فوائدَ منثورةً مُهِمَّة، يَستفيدُها طالبُ العلم خاصَّة، ويَنتفعُ بها المسلمون عامَّة :

○ الكتابُ والسُّـنَّة :

كتابُ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ قَولــــي
وما صَحَّت بِهِ الآثارُ دينـــي
فَدَعْ ما صَدَّ عَن هٰذي وَخُذْها
تَـكُن منها على عينِ اليَقيـنِ

« نفح الطِّيب » (١٢٧/٢) لِلمَقَّري .

○ الحقُّ لا يُعرَف بالرِّجال :

« احْرِص أيُّها المسلمُ ! على أن تَعرِفَ إسلامَكَ مِن كتابِ ربِّكَ، وسُنَّة نبيِّكَ، ولا تَقُل : قال فلانٌ ! **فإنَّ الحقَّ لا يُعرَف بالرِّجال، بل اعرِفِ الحقَّ تَعرِفِ الرِّجال** » .

« سلسلة الأحاديث الصَّحيحة » (١٦٤/١) للعلاَّمة الألباني .

○ هَدْيُ الصَّحابةِ ونَهجُهُم :

قال العلاَّمة صدِّيق حسن خان (المُتوفَّى سنة ١٣٠٧هـ) شارحاً قَولَ النَّبيِّ ﷺ في وَصفِ الفرقة النَّاجية : « ما أنا عليهِ اليَومَ وأصحابي »[(١)] .

(١) حديثٌ حسنٌ، انظر تعليق شيخنا على « شرح الطحاوية » (رقم: ٢٦٣) .

فقال :

« دلَّ قَيد (اليوم) أنَّ المعتبر من شرائع الدِّين ما كانَ في زمنِ النَّبيِّ ﷺ ، لأنَّ بعده – عليه السَّلام – اختلف الصَّحابة أيضاً في مواضع ومسائل، فالتي تستحقُّ للأخذِ، والتمسُّك بها؛ هي السُّنَّة الصَّريحةُ الصَّحيحة، الصِّرْفَةُ، المَحْضَةُ، التي لا يشوبها اجتهادٌ، ولا رأيٌ، ولا قياسٌ، ولا شيءٌ !!

ولا مِصداقَ لذلك إلاّ طريقةُ الأئمّة المحدِّثين السَّابقين، وأصحاب الأُمّهات السِّت، ومَن حذا حَذوَهُم في التَّقوى وإصلاحِ الدِّين » .

« الدين الخالص » (٤٤/٣) .

○ بينَ النَّصيحة والغيبة :

قال عبدُاللّه ابنُ الإمام أحمد :

جاءَ أبو تُرابٍ النَّخشبيُّ إلى أبي، فَجَعَلَ أبي يقول : فلانٌ ضعيفٌ، وفلانٌ ثقةٌ .

فقال أبو تُراب : لا تَغتَبِ العُلماء !

فالتفتَ أبي إليهِ، فقال :

« وَيحَكَ ! هذه نصيحةٌ، ليس هذا غيبةً » .

« المقصد الأرشد » (٢٨٤/٢) لبرهان الدِّين ابن مُفلح .

○ نِساء بِلا حَياء :

صحَّ عن رسول اللّه ﷺ أنَّهُ قال : « لا تُسافِرُ المرأةُ ثلاثاً إلاّ وَمَعها ذو مَحرَم »[(١)]

عقَّب الشيخ أحمد شاكر رحمه اللّه على هذا الحديث بقوله :

---

(١) رواه الشيخان .

« وهذا الحديث أصلٌ عظيمٌ مِن أصولِ الإسلام، لصيانَةِ المرأةِ وحِفظها أن تُعرّضَ لِما يُفسِدُ خُلُقَها، ويَمسَّ عِرضَها، بأنَّها ضعيفةٌ يَسهُلُ التأثيرُ عليها، واللَّعبُ بعقلها، حتَّى تَغلبها شهوتُها.

وقَد أعرضَ المسلمون في عَصرنا - أو بعبارة أدقَّ: مَن يُسمَّونَ مُسلمون، وينتسبون إلى الإسلام! - فتراهم، كما نَرى، يُطلقونَ نساءَهُم مِن الطَّبقات التي تُسمَّى العُليا (!)، ومِن غيرها مِن الطَّبقات، فيَجُلنَ في البلاد، ويَخرُجنَ سافِراتٍ غيرَ مُحصناتٍ، حتَّى يُسافرنَ إلى الأقطار الأوروبيَّة، والأمريكيَّة وغيرها وَحدَهُنَّ، ليسَ مَعهنَّ مَحرَمٌ، فيَفعَلنَ الأفاعيل، وتأتي أسوأ الأخبارِ عَنهُنَّ، لا يتورَّعنَ، ولا يَستحيِنَ، وليسَ لَهُنَّ رادعٌ!

بل إنَّ الدَّولة - وهي تَزعُمُ أنَّها دولةٌ إسلاميَّةٌ - لتُرسِلُ الفتيات في بعثاتٍ للتَّعلُّم في البلاد الأجنبيَّة، وهُنَّ في فَورَة الشباب، وجُنونِ الشهوة، ولا تجد أحداً يُنكرُ هذا المُنكر، أو يأمُرُ في ذلك بالمعروف، بل إنَّ عُلماء الأزهر (!) لا يُحرِّكون في ذلك ساكناً، إن لم أقُل: إنَّهم صاروا لا يَرونَ في ذلك بأساً، إن لم أقُل: إنَّ لبعضهم بَناتٍ يتردَّين في هُوَّةِ هذه البعثات!!

ولقَد حَدَثت أحداثٌ لا يرضى عنها مسلمٌ، مِن أسوَئها أثراً أنَّ كثيراتٍ ممَّن يُسافِرنَ إلى بلاد الكُفر والإلحاد، من أعلى الطَّبقات في الأُمَّة (!) ومن غيرها، ارتَدَدنَ عن دينهنَّ؛ اتِّباعاً للشهوة الجامحة، وتزوَّجنَ برجالٍ من كُفَّارِ أوروبَّة وأمريكا الملحدين الوثنيِّين، الذين ينتسبون كذباً إلى اليهوديَّة أو المسيحيَّة، فاختَرنَ سَخَطَ اللَّهِ، وأبَينَ رضوانه، هُنَّ وأهلُهُنَّ، وَمن رَضيَ عنهنَّ وعن عملهنَّ، وإنَّا للَّه وإنَّا إليهِ راجعون».

« شرح المسند » (٦/٤٦١٥).

أزهارُ مُتناثِرَة ...

سليم الهلالي

• مِن خصائصِ لُغتنا :

(١) لِسانُ العَربِ أفضلُ اللُّغات وأوسَعُها .

وَسِعَ مُرادَ اللّهِ لَفظاً وغايَةً، فقال سبحانهُ :

﴿ وإنَّهُ لَتَنزيلُ ربِّ العالمين ○ نَزَلَ به الرُّوحُ الأمين ○ على قَلبِكَ لتَكونَ مِنَ المُنذرين ○ بِلسانٍ عَربيٍّ مُبينٍ ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥] .

وَصفَهُ اللّهُ بأبلَغِ ما يوصفُ به الكلامُ، وَهُوَ البيانُ .

وقدَّمَ اللّهُ جلَّ ثناؤهُ ذِكْرَ البيانِ على جميعِ ما تَوحَّدَ بخَلقِهِ وتفرَّدَ بإنشائِه :

﴿ خَلَقَ الإنسانَ ○ علَّمهُ البيانُ ﴾ [الرحمن:٣-٤] .

فلمّا خصَّ جلَّ ثناؤهُ اللسانَ العربيَّ بالبيانِ عُلِمَ أنَّ سائرَ اللغاتِ قاصِرَةٌ عنهُ ودافعَةٌ دونهُ، واللغاتُ الأعجميّةُ لا توصفُ بالبيان، يُستفادُ مِن قولِهِ تعالى :

﴿ لِسانُ الَّذي يُلحِدونَ إليهِ أعجميٌّ وهذا لسانٌ عَرَبيٌّ مُبينٌ ﴾ [النحل:١٠٣] .

« الصّاحبي » بزيادة وتصرف .

(٢) لِسانُ العَرَب يقومُ على السَّماعِ لا القِياس .

– قال ابن فارس في « الصّاحبي » (ص:٨) .

لَقَد بَلَغنا عَن أبي الأسوَدِ أنَّ امرءاً كَلَّمهُ بِبَعضِ ما أنكَرَهُ أبو الأسوَد، فسألهُ أبو الأسوَد عنهُ فقال : هذهِ لُغَةٌ لَم تَبلُغْكَ .

فقال لهُ : يا ابنَ أخي إنَّهُ لا خَيرَ لكَ فيما لَم يَبلُغني .

فعرَّفَهُ بلُطفٍ أنَّ الذي تكلَّمَ به مُختلقٌ .

– قال النَّهرواني المتوفَّى سنة (٣٩٠هـ) في « الجليس الصَّالح الكافي والأنيس النَّاصح الشافي » (٤٣٧/١) معلقاً على خبر :

هكذا في الخبر « ألطُّ »، والمعروف في اللغة « لَطَّ »، وقالوا في اسم الفاعل: « مَلَط » على غير القياس؛ لأنَّ قياسَ ألط « مُلِطّ » وقياس لطَّ « لاطٌّ » غير أنَّ السَّماعَ لا اعتراض لأحد فيهِ، ولا يترك للقياس بل يترك القياس له

● صُوَرٌ مِن النَّقدِ الأدبي عندَ العلماءِ .

رُويَ أنَّ أبا تمَّام الطَّائي مَدحَ الخليفة فقال :

إقدامُ عَمْرٍو في سماحَةِ حاتمٍ   في حِلْمِ أحنَفَ في ذكاءِ إياسِ

فقال الوَزير : شبَّهتَ أميرَ المؤمنين بأجلافِ العَرَب، فأطرَقَ ثمَّ زادَها :

لا تُنْكِروا ضَرْبِي لَهُ مَن دُونَهُ   مَثلاً شَروداً في النَّدى والباسِ
فاللَّهُ قَد ضَرَبَ الأقلَّ لنـورِهِ   مَثلاً مِن المشكاةِ والنِّبْـراسِ

فقال الوَزير : أعطِهِ ما شاءَ؛ فإنَّهُ لا يعيش أكثر من أربعين يوماً؛ لأنَّهُ قَد ظهَرَ في عينيهِ الدَّمُ من شدَّة فكره، وصاحبُ هذا لا يعيش إلاّ هذا القدر، فقال له الخليفة : ما تشتهي ؟ قال : الموصل؛ فأعطاهُ إيَّاها، فتوجَّهَ إليها وماتَ بعد هذه المدَّة .

قال العلاَّمة النقَّاد الذَّهبي في « سِيَر أعلام النُّبلاء » (٦٩/١١) :

هذه حكاية غير صحيحة، وأمَّا البيتُ، فلن يحتاج إلى اعتذار أصلاً، ولا وَلِيَ الموصل، بلى، وَلِيَ بريدَها .

وقال ابنُ خلِّكان في « وفيَات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان » (١٤/٢-١٦):

ورأيتُ النَّاسَ مُطبِقِينَ على أنَّهُ مَدحَ الخليفة بقصيدتهِ السِّينيَّة (ثمَّ ذكرَ الحكاية والاختلاف في رواياتها) ثمَّ قال :

وَقَد تَتبَّعتُها وحقَّقتُ صورة ولايته للموصل، فلم أجد سوى أنَّ الحسن ابن وهب ولاَّه بريد الموصل، فأقام بها أقلَّ من سنتين ثمَّ ماتَ بها .

والذي يدلُّ على أنَّ القضيَّة ليسَت صحيحة أنَّ هذه القصيدة ما هي في أحَدٍ من الخلفاء، بل مدحَ بها أحمد بن المعتصم، وقيل : أحمد بن المأمون، ولم يلِ واحدٌ منهما الخلافة (!) .

وقال العلاَّمة ابن كثير في « البداية والنِّهاية » (٣٠١/١٠) :

وليس هذا بصحيح، ولا أصل لهُ، وإنْ لهج بِهِ بَعضُ النَّاسِ كالزَّمخشري وغيره !

• مِن النَّحو القُرآني : وضعُ الجمَل الاسميَّة مَوضع الفعليَّة .

قال الإمامُ الشاطبي في « الإفادات والإنشادات » (ص: ١١٩-١٢٠):

حَكى لنا الأُستاذ الشهير أبو سعيد بن لُبّ أنَّ الفارسي قال :

وجدتُ في القرآن مِن وضع الجملة الاسميَّة مَوضعَ الفعليَّة قولَه تعالى : ﴿ أعِندَهُ عِلمُ الغَيبِ فَهُوَ يَرىٰ ﴾ [النجم: ٣٥] .

فقوله : ﴿ فَهُوَ يَرىٰ ﴾ جملة اسميَّة في موضع فعليَّة .

وقال ابنُ جنّي : وجَدتُ أنا موضعاً آخَر : ﴿ أمْ عِندَهُم الغَيبُ فَهُم يَكتُبون ﴾ [الطور : ٤١ ، القلم : ٤٧] .

وقال أبو الحسن الأبهري : وجدتُ أنا موضعاً آخَر قوله تعالى : ﴿ سَواءٌ عَليكُم أدَعَوتُموهُم أمْ أنتُم صامِتون ﴾ [الأعراف : ١٩٣] .

وقال الأُستاذ أبو سعيد : وجدتُ أنا موضعاً آخَر، قوله تعالى : ﴿ أمْ أنزَلنا عليهم سُلطاناً فَهُوَ يتكلَّم بما كانوا بهِ يُشركون ﴾ [الرُّوم : ٣٥] .

قلت – أي الشاطبي – : وَوجدتُ أنا موضعاً آخَر، قوله تعالى : ﴿ أمْ تسألُهُم أجراً فهُم مَن مَغرَم مُثقَلون ﴾ [الطور : ٤٠ ، القلم : ٤٦] .

على أنّي وجَدتُ بعدَ هذا لأبي علي الفارسي في « التَّذكرة » موضعاً آخَر : ﴿ هَل لكُم مِن ما مَلَكت أيمانكُم مِن شركاء في ما رَزَقناكُم فأنتُم فيهِ سَواء ﴾ [الروم : ٢٨] .

● **أمثال :**

عند جُهَينة الخَبَر اليَقين :

يُضرَب في معرفَةِ الأخبارِ وصحّتها، وأنشدَ شاعرهم :

أتُسائلُ كُلَّ رَكبٍ عن حُصينٍ   وَعندَ جُهَينةَ الخَبَرُ اليقينُ

وقد جعلهُ بعضُ الكذّابين حديثاً : « آخر من يدخُل الجنَّة رجلٌ من جُهَينة، يقال له : جُهَينة، فيسألهُ أهلُ الجنَّة : هَل بقيَ أحد يعذَّب ؟ فيقول : لا، فيقولون : عندَ جُهينة الخبر اليقين » .

قال شيخنا الألباني حفظه الله في « الضّعيفة » (٣٧٧) : موضوع .

● قُسُّ بن ساعِدة الإيادي، أحد الحُنفاء وبلاغته :

لم تعرف العَربُ حَيّاً أخطَبَ من إياد؛ لأنَّ قُسّاً منهم، وهو أحكمُ حكماء العرب، وأبلغُ وأعقلُ من سُمِعَ به منهم؛ وهو أوّل من كتبَ : من فلان إلى فلان؛ وأوّل من خَطَبَ متوكّئاً على عصا، وأوّل من أقرَّ بالبعث، وأوّل من قال : أمّا بعد، وبه يُضرب المثل في الخطابة والبلاغة؛ قال الأعشى :

وأبلَغُ مِن قُسٍّ وأَجْرَا مِن الّـــــذي
بذي الغِيلِ من خَفّان أصبح خادراً

وقال الحُطيئة :

وأخطب مِن قُسٍّ وأمضى إذا مضى
من الرّيح إذ مسّ النُّفوسَ نكالُـها

ومن مشهورِ كلامه :

مالي أرى النّاسَ يَذهبون فلا يرجعون ! أرَضوا بالمقامِ فقاموا، أم تُركوا فناموا .

ومن فائقِ نظامِهِ :

في الـذّاهـبيـن الأولـيـن ... من الـقرونِ بصـائـــر
لـمّـا رأيـــتُ مـــوارداً ... للموت ليسَ لها مصادر
ورأيــتُ قـومـي نحـوها ... يـمـضي الأكابرُ والأصاغر
أيـقـنـتُ أنّـي لا محـا ... لَةَ حيثُ صار القومُ صائر

« ثمار القلوب » بتصرف

أحوال العالم الإسلامي

التحرير

إنَّ الكلامَ في جِراحاتِ المُسلمين وأدوائهم، وأحوالِ العالمِ الإسلامي ومصائبه : كلامٌ كثيرٌ .. مريرٌ ... لا تَسَعُهُ صفحةٌ .. ولا صفحات .. ولا مجلّةٌ .. بل ولا مجلّد .. ولا مجلّدات !!

ولكي لا نعدمَ القولَ في شيءٍ يُصلح .. أو يَهدي .. نكتبُ كلماتٍ مضيئةً تربطُ الأُمّة بكتابِ ربِّها وسنَّةِ نبيِّها ﷺ، بعيداً عن ضوضاءِ الإعلام، ومباءاتِ السَّاسة !! لكي نُعمِّقَ في نفوسنا حقيقةَ الأُخوّة في الله، والشعور الصّادق بمعاني التّكافُل والتّآخي الشرعي الصّادق .

○ البوسنة والهرسك ... صراعُ الثأر

ليس الصّراعُ في هذه المنطقةِ مِن العالمِ صِراعاً جُغرافيّاً، أو صِراعاً سياسيّاً؛ كما يُصوِّرُهُ الإعلامُ الغربيُّ الآفِك ويُلقي بثقلِه كلِّهِ لإقناع العالم بذلك؛ لا ... إنَّهُ صِراعُ الثّأرِ للأجدادِ مِن الأحفاد (!)، إنّه صِراعُ الثّأرِ بينَ التّوحيد والشرك ...

وليس هذا الصّراعُ – فقط – صراعَ حربٍ دمويّةٍ دائرةٍ منذ شهورٍ يُذبّح فيها المسلمون، ويُشرّدون، وتُرمّل نساؤهم، وتُيتّم أطفالهم ...

وفي خِضَمّ هذا الصّراع العقائديِّ الهائل الذي تشهدُه بُلدان شتّى مِن المناطق ذات الأقليّات الإسلاميّة، تبرزُ مشكلةٌ خَلفَ هذا الصّراع، ووراءَ هذه

الحرب الضَّروس ... إنَّها مشكلةُ احتواءِ أبناءِ المسلمين اليتامى ...

فقد أضحى يقينيّاً خَبَرُ نَقْلِ عشراتٍ بل مئاتٍ مِن أبناءِ المسلمين اليتامى إلى جمعيَّات (خيريَّة) لتربيتهم ... وتنشئتهم !!

... جمعيّات ... ماذا ؟ .. (خيريَّة) !!

... تربيتُهم على ماذا ؟!

... وتنشئتُهم ... كيف ؟!

إنَّها التَّربيَة على بُغض الإسلام ... والبراءَة مِن أوليائِهِ ...

إنَّها التَّنشئةُ على محبَّة الغربِ الكافر ... وتعظيمِ أهله ...

ومع ذلك كُلِّه ... فلا نسمعُ لدُعاةِ (التَّحرُّر) و (الإنسانيَّة) و (حقوق الإنسان) رِكزاً ! إلاّ كلماتٍ جوفاءَ هنا وهناك ... يُمَوِّهون بها ... ويُخاتلون ... ويخدعون بها ... ويكذبون ...

وهذا كلُّه استمرارٌ مريرٌ كبيرٌ لحربِ التَّنصير - الَّتي يُسمُّونها بغير اسمها : حملات التَّبشير ! - ، وهي حربٌ في نتائجها وويلاتها أنكى بكثيرٍ مِن حَرْبِ الرَّصاص والقنابل ! الَّتي سوف تنتهي عاجلاً أم آجلاً !! ولكن ... ذلك الجيل ... وأُولئك الأطفال ... مَن لهم ؟!

﴿ وَلَن تَرضى عَنكَ اليَهودُ ولا النَّصارى حتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم ﴾ [البقرة: ١٢٠] .

واللَّهُ المستعان ....

القرّاء .. منهم وإليهم .

التحرير

أخي القارئ المسلمُ الكريمُ في كلِّ مكان :

هذه هي رسالتُك التي طال انتظارُها، واشتدَّ الحنينُ إليها، إنَّها رسالةُ (**الأصالة**) التي تحملُ معنى **الأصالة** حقّاً؛ عقيدةً، وسلوكاً، ومنهجاً، وعلماً، وعملاً .

ومع كثرة الفتن والمحن والأهواء والبدع وغُربة الإسلام وأهله .

ومع كثرة المنكرات التي سَرَت في الآفاق وركبتْ أعناقَ الرّيح، وشاعت فيها الآثام في مناحي الحياة كما يَشيعُ الظلامُ الطّامس في الليل الدّامس، وأنكر فيه الإنسانُ دعائمَ الحقّ، وأُسُسَ العدل حتى غدا الباطلُ حقّاً، والحقُّ باطلاً، والسُّنَّة بدعةً، والبدعةُ سُنَّةً، وسارَ النَّاسُ - إلاّ من رحمَ اللَّه - خَلْفَ كلِّ ناعقٍ، ورُمِيَ أهلُ الحقِّ والاتّباع بأقبحِ التُّهم، ووُصِموا بالعار والشنار، لا لشيءٍ إلاّ لأنّهم تمسَّكوا بحبل اللَّهِ الواحدِ القهّار، وظهَرَ خفافيش الليل وركبوا المنابر، ونَعَبوا عليها بالباطل نعيبَ الغِربان، وَدَعَوْا بالوَيل والثُّبور، حتى استمرّت لهم الأمور، - وللَّه الأمرُ من قَبلُ ومن بعد - .

وأصبحَ السّائرون على منهاج السّابقين من الصَّحابة والتّابعين يعيشون غُربة الدُّنيا والدِّين، ولمَّا اختلطَ الحقُّ بالباطل وامتزجَ الحابلُ بالنَّابل تنادى طَلَبةُ العلم ليُقيموا الحُجّة ويظهروا المَحَجَّة فبعث اللَّهُ هذه (**الأصالة**) تدعو لأقومِ سبيلٍ؛ مستندة على الدَّليل من الكتاب والسُّنَّة وأقوال خير الأُمّة من الصَّحابة والتّابعين الذين هم عِماد هذا الدِّين، حتى غَدَت أعلامهُ مرفوعةً

مشهورةً، وجموعُ أهل الباطل مهزومةٌ مدحورة .

وأسرة (**الأصالة**) تُرحِّب بكلِّ مشاركة مخلصةٍ جادَّةٍ، فتقبل الأصيل وترفض الدَّخيل، شعارها الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمَّة، ديدنها عقيدة السَّلف ومنهاج الرَّسول وصحبه الميامين العُدول .

فمرحى بكم – إخواننا في كُلِّ مكانٍ – على صَفَحات (**الأصالة**)؛ قُرّاءً، وكُتَّاباً، وناصحين، وإخوةً أحبَّةً متعاونين .

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

○ ○ ○ ○ ○

أأقعُدُ بَعدَما رَجَفَتْ عِظامي ... وكانَ الموتُ أقربَ ما يَليني

أجادِلُ كلَّ معترضٍ خَصيمٍ ... وأجعَلُ دينَهُ غَرَضاً لديني

فأترُكُ ما عَلِمْتُ لرأيِ غيري ... وليس الرَّأيُ كالعِلمِ اليَقين

وما أنا والخصومةُ هي لَبْسٌ ... تصرَّفُ في الشمالِ وفي اليمينِ

وما عِوَضٌ لنا منهاجُ جَهْمٍ ... بمنهاجِ ابنِ آمنةَ الأمينِ

فأمَّا ما علمتُ فقد كفاني ... وأمَّا ما جهلتُ فَجَنِّبوني

فلستُ بِمُكْفِرٍ أحداً يُصلِّي ... ولَن أجرِمْكُمُ أن تَكْفُروني

وكُنَّا إخوةً نَرمي جميعاً ... ونَرمي كُلَّ مُرتابٍ ظَنينِ

فما بَرِحَ التَّكَلُّفُ أنْ تَساوَت ... بشانٍ واحدٍ فِرَقُ الشؤونِ

فأوشكَ أن يَخِرَّ عِمادُ بيتٍ ... وينقطِعَ القَرينُ عَنِ القرينِ

« تاريخ بغداد »

(٣٦١/٦)

بينَ الهَجرِ والمُقاطعَة

التحرير

يُعَدُّ الهَجرُ منهجاً أصيلاً مِن مناهج أهل السُّنَّة والجماعة – أتباع السَّلف وأهل الحديث – لِنَقضِ المُخالفين؛ رَدعاً للمبتدعة[1]، وكَبتاً لباطلهم، وردّاً على تَهَوُّكِهم.

ولمَّا كان هذا المنهجُ مبنيّاً على رُكنٍ ركينٍ، وأصلٍ متينٍ هو الولاءُ بين المؤمنين، والبراءُ مِن الضَّالين والمُنحرفين؛ لزِمَ وَضعُهُ في نصابه، وعَدَمُ الخَلطِ بين أسبابه!

وفي العقود الأخيرة مِن حياةِ المسلمين ظهرَ في ساحةِ العَمَلِ الإسلامي تصوُّرٌ غريبٌ عنه، بعيدٌ منهُ، وهو **التَّحزُّب**، والتَّمحوُر، والتَّشرذُم! ممَّا جَعَلَ أصحابَ هذه المناهج يُؤصِّلونَ تَقْعيداتٍ خاصَّةً للمحافظةِ على هيكلهم وكيانهم (!)، ولِرَبطِ أفرادهم (!) وصَونِهم مِن الأفكار (الدَّخيلة) على حزبهم!!

فتراهُم لا يَسمَحونَ لأفرادهم بمجالسة طُلَّاب العلم! وإن سَمحوا لهم؛ قيَّدوهم بقيودٍ صارمةٍ! فإن رَأَوْا تغيُّراً في (أفكارِ) أفرادهم؛ مَنعوهُم مِن مُعاوَدةِ المجالسةِ لأولئكَ النَّابهين! فإن أصرُّوا؛ أصدَروا أوامرَ المُقاطعَة والهَجرِ!!

---

(١) يُراجع لمعرفة أدلَّة ذلك مفصَّلاً كتاب « هَجر المبتدع » للشيخ بكر أبو زيد، وكتاب « الهجر في ضوء الكتاب والسُّنَّة » للأخ مشهور حسن.

ولسنا في هذه الكلمةِ مُناقشين قضيّةَ الحزبيّة مِن أساسها – إذ فيها مُؤلّفاتٌ خاصّةٌ[1] –، ولكنّنا نُريدُ الإلماحَ إلى خَلطِ هؤلاء النَّفر مِن النَّاس بين النهج الصَّحيح في الهَجر، ومنهجهم (الإرهابي) في المقاطعة !!

نعم؛ نقولُ : الإرهابيّ؛ لأنَّهُ قائمٌ على **الإرهاب الفِكري** الذي لا يسمحُ بأدنى مساسٍ لأيِّ شخصيَّةٍ مِن الشخصيَّات (المُعظَّمة) عندهم، سواءٌ أكان ذلك (المساسُ) بالحقِّ الصَّريح، أم بالباطل القبيح ! ولا يَستويان مثلاً !

وَمِن صُوَر المُقاطعة بالباطل هذه أيضاً :

أنَّهُ :

لَو كَتَبَ **البَعضُ** مقالاً أو كتاباً، ينقُدُ فيه فكرةً، أو ينبّهُ على خَطأٍ، أو يُصوِّبُ منهجاً : كان ذلك مِفتاحاً لبابِ صراعٍ **ومُقاطعةٍ** من أولئكَ لهذا النَّاقدِ بالحقّ !! حتى ولو كان النَّاقدُ مِن أهلِ السُّنَّة ودُعاتها !

فلا تُفتَّحُ لهُ الأبوابُ !

بل تُشاعُ فيه الأقاويل والفِرىٰ !

بل تُدفَعُ في صَدرِهِ رِماحُ الكيدِ والتُّهَم !

بل تُمنَعُ كُتُبهُ ومقالاتهُ !

بل يُحجَبُ عن إخوانِهِ من الدُّعاةِ وطلاَّب العلم !

بل يُحذَّرُ منه، ويُنفَّرُ النَّاسُ عنه !

---

(١) مثل « حُكم الانتماء » للشيخ بكر أبو زيد، و « الأحزاب السِّياسيَّة في الإسلام » للشيخ صفيّ الرّحمن المباركفوري، و « الدَّعوة إلى الله بين التجمُّع الحِزبي والتَّعاوُن الشرعي » للأخ عليّ بن حسن .

... وهذا منهجٌ بعيدٌ عن صفاءِ أخوَّةِ الإسلام، ونقاءِ صِدقِ المودَّةِ الشرعيَّة، بل هو ضَربٌ في الصَّميم لِقَولِ النَّبيِّ ﷺ: « أوثقُ عُرى الإيمان الحُبُّ في اللَّه والبُغضُ في اللَّه »[1]؛ لأنَّ ذاك الصَّنيع حُبٌّ في الأشخاص، وبُغضٌ في مَحضِ الأفكار !!

إلى متى سيبقى نقاوةُ الأمَّة – وهم الدُّعاة – أُسارى الولاء الحزبيِّ البغيض !!

متى سيَخرُجُ هؤلاء (الدُّعاة) مِن هذه الهوَّة التي أزلقوا (أنفسَهم) بأنفسِهم إليها ؟

متى سينخلعُ المسلمون مِن رِبقَةِ تَعظيمِ الأشخاص وتقديسهم، ليَرتَفعوا بأنفسهم إلى علياءِ الحقِّ ورِفعَةِ الهُدى !

نَحسِبُ أنَّ منهجَ المُقاطعة المُبتَدَع الذَّميمَ هذا يُذكِّرنا بِصُوَرٍ من (أمجادِ) أهل الرَّأي في صراعهم (التَّليد) مع أهل الحديث، ويُرجعنا إلى حَلَبَةِ كَيدِ الأشاعرة للحنابلة في القرون الوُسطى !!

فلعلَّ (**مسكَ الختام**) في هذا المقام، سبيلُ إصلاحٍ وإقدام ...

فإلى الأمام .

العلمُ درجات

عن محمَّد بن النَّضر قال :

أوَّل العلم الاستماعُ، ثمَّ الإنصاتُ، ثمَّ حِفظُهُ، ثمَّ العَملُ به، ثمَّ بثُّه .

« سير أعلام النبلاء »

(١٥٧/٨)

(١) حديثٌ صحيحٌ، مخرَّجٌ في « سلسلة الأحاديث الصحيحة » (١٧٢٨).

المُحتَوى